ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

٧٣

البعث الإسلامي

العدد الثاني — المجلد الثالث والسبعون
جمادى الآخرة ١٤٤٨هـ — ديسمبر ٢٠٢٦م

- شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد (افتتاحية العدد)
- تهديدات للعودة بالعالم الإسلامي إلى عصر الحجارة ! وهدم الكعبة
- الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام
- التصور القرآني للمرأة
- منهج الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم في تربية الشباب
- مقصد " الإيجابية " في الشريعة الإسلامية
- التأمين الصحي شرعاً في الظروف الحالية
- المآخذ غير المعترف بها في تفسير القرآن الكريم
- كلمة " الأدب " في اللغة العربية : دراسة تاريخية
- الوحدة الموضوعية وعلاقتها بالتشبيهات القرآنية
- جولة علمية في تراث الدكتور محمد الوكيل
- المسلمون في الصين بين الماضي والحاضر



تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
If undelivered please return to:
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

بناء الإنسان أفضل أم بناء العمارات ؟

من المحن والأزمات التي ابتلي بها الشرق شغفه وهيامه بالبنايات الحديثة والمعاهد العلمية الفخمة التي تشبه الفنادق والبنوك في ضخامتها وارتفاعها وأناقتها وتأثيثها ، وشاع استعمال هذه الجملة : إن هذه البناية أكبر بناية حديثة في الشرق الأوسط، لكن لم نسمع من يقول في نفس التعبير وفي نفس القوة والاعتراز : هذا أكبر عالم في الشرق ، وهذا أكبر طبيب في آسيا، وهذا أكبر مهندس في العالم الإسلامي، وهذا أكبر كيمائي في المنطقة بأسرها ، وهذا ابن تيمية هذا الزمان في الغلم والبرهان، وهذا صلاح الدين هذا العصر في المجد والسلطان.

إن كثرة البنايات والفنادق لا تنجب الرجال، ولا تنتج الكفاءات، إنها بالعكس تلهى الأمة عن المكرمات والبطولات ، إنها تستنفد قواها، وتشغل بالها ، وتصرفها عن غاياتها السامية وأهدافها العالية ، إن بناء الإنسان لا يحتاج إلى بناية ، ولا يحتاج إلى دعاية ، بل إنه يحتاج - فقط إلى تصحيح الاتجاه. و تنوير الوعى ، وتنمية الشعور، والعناية بالأولى والأهم ، والتركيز على النواحي المهمة الحساسة ، وتقوية الجانب الذي تضاءل واضمحل وضعف ، بدلا من تغذية الجانب الذي تسمن وتضخم ، وطغى و بغى على الجانب الضعيف.

إن مثلنا في ذلك كمثل رجل نزل عنده اشتد به الجوع فاعتنى بغرفته كل العناية، وأثثها تأثيرا جميلا ، وحشد له كل ما لا يحتاج إليه من كماليات ، ومع ذلك فلم يقدم إليه وجبة طعام ، أو كأسا من ماء.

أو كمثل رجل أتاه مريض أتاه مريض يشكو ألما في القلب، أو وجعا في الصدر ، فهداه إلى مساحيق التجمبل أو استعمال الملابس الفاخرة.

لقد عنينا كثيرا بالبنيان، فلنتحه الآن إلى الإنسان.

الإسلام ضالة العالم للشيخ السيد محمد الحسني ج١ص : ٤٥٨

الاشتراكات السنوية

- **في الهند**

ثماني مائة (بالبريد المسجل) **٨٠٠ / روبية**

ثمن النسخة **٤٠ / روبية**

- **في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم:**

٧٥ /دولارًا بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

- **المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها**

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد ٧٣

شعارنا الوحيد إلى الإسلام مرجديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

December 2026 — ديسمبر ٢٠٢٦م

العدد الثاني - المجلد الثالث والسبعون- جمادى الأخرة ١٤٤٨هـ- ديسمبر ٢٠٢٦م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم. الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها
فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى
في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

الرئيس العام
الشيخ السيد
بلال عبد الحى الحسني الندوي
نائب الرئيس
الأستاذمحمد نعمان الدين الندوي

رئيس التحرير
محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب
محمد عبد الله المخدومي الندوي

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg,
Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826
Email: albaas1955@gmail.com

محتويات العدد

❖ أخي القارئ !

وحدة الأمة : من الثوابت إلى الميثاق — رئيس التحرير — ٥

❖ الافتتاحية :

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد — محمد فرمان الندوي — ٦

❖ التوجيه الإسلامي :

الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام — الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي — ١٠

التصور القرآني للمرأة — الدكتور غريب جمعة — ١٤

❖ الدعوة الإسلامية :

منهج الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم في تربية الشباب — الأستاذ موسى إبراهيم أبو رياش — ١٩

❖ الفقه الإسلامي :

مقصد " الإيجابية " في الشريعة الإسلامية — الدكتور عبد القادر دغوتي — ٢٤

التأمين الصحي شرعاً في الظروف الحالية — د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي — ٣٠

❖ دراسات وأبحاث :

المآخذ غير المعترف بها في تفسير القرآن الكريم — الشيخ المفتي محمد تقي العثماني — ٣٨

كلمة " الأدب " في اللغة العربية : دراسة تاريخية — د . محمد إدريس الندوي — ٤٨

الوحدة الموضوعية وعلاقتها بالتشبيهات القرآنية : سورة يونس أنموذجاً — الكاتبة مرام سعيد أبو عشيبة — ٥٨

❖ رجال من التاريخ :

جولة علمية في تراث الدكتور محمد الوكيل — د/ أبو سحبان روح القدس الندوي — ٦٣

❖ صور وأوضاع :

تهديدات للعودة بالعالم الإسلامي إلى عصر الحجارة ! وهدم الكعبة — الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي — ٦٩

المسلمون في الصين بين الماضي والحاضر — الأستاذ السيد عنايت الله الندوي — ٧٣

❖ بأقلام الشباب :

المنهج الإنساني في دعوة الإمام الندوي — الأخ السيد عبد العلي الحسني الندوي — ٧٩

من محراب الفقه إلى آفاق الأدب — الباحث عبد الرحمن مبارك — ٨٣

فارس القلم ورائد الصحافة العربية في الهند — الباحث صديق أحمد — ٨٩

الشيخ المربي السيد على الهمداني : نبذة من حياته — الأخ ظهور أحمد شاه — ٩٣

❖ أخبار علمية وثقافية :

قسم الدعوة والإرشاد لندوة العلماء يعقد مخيماً تربوياً ودعوياً في رحاب ندوة العلماء — الأخ محمد طيب — ٩٧

الندوة الفقهية الثامنة لمجمع البحوث والدراسات الشرعية في ندوة العلماء — الأخ محمد أبو الحسن — ٩٩

❖ إلى رحمة الله تعالى :

١. الشيخ المفتي ثمين أشرف القاسمي إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ١٠١

٢. الأستاذ ضياء الرحمن إلى رحمة الله تعالى — " " — ١٠٢

أخي القارئ !

بسم الله الرحمن الرحيم

وحدة الأمة : من الثوابت إلى الميثاق

ديننا الإسلامي دين الوحدة والتضامن ، وأمتنا الإسلامية أمة التعاضد والترابط ، فلا نجد على وجه الأرض ديناً من الأديان ، ولا فلسفة من الفلسفات دعا إلى الترابط والتعاون كما دعا إليه الإسلام ، فالإسلام في قرآنه وسنته ، والإسلام في عقيدته وشريعته ، والإسلام في حضارته وفي تاريخه يدعو إلى الوحدة والتضامن ، فالكون كله يصور وحدة متراصة متعاضدة متعاونة ، فهناك تعاون بين السماء والأرض ، وهناك وحدة بين الشمس والقمر ، فمن الذرة إلى المجرة ، ومن الثرى إلى الثريا قانون واحد ، ونظام واحد ، قال تعالى : (مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ) [الملك : ٣] .

شهد العالم قبل الإسلام مجتمعاً جاهلياً ، مجتمعاً يقوم على الكفر والشرك وعبادة الأوثان ، وكان هذا المجتمع قائماً على العصبية العمياء ، وكان هناك التقاتل والتعادي من أجل فرس ، أو من أجل ناقة ، وكان من دعائم هذا المجتمع التظالم والفوضى والطغيان والعدوان ، لكن الله سبحانه قدر للإنسانية خيراً ، فبعث سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، إنه أقام نظام الإسلام، وكسر الإسلام أركان ودعائم هذا المجتمع الجاهلي ، وبنى على أنقاضه مجتمعاً جديداً ، وبناءً بديعاً ، وأقام مجتمع العدل والرحمة ، ومجتمع المساواة والتكافل ، ومجتمع إقامة الحقوق وأداء الواجبات ، فكان من دعائم هذا البناء التوحيد ، والإخاء ، والاقتصاد ، والنظام ، والحماية والأمن ، وكل ذلك كان مديناً ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

الأخوة الإيمانية لها مراتب ودرجات : أدنى مراتب الأخوة سلامة الصدر ، أن يسلم صدر الإنسان من الحقد والغل والحسد والبغضاء ، هذا أول ما يطلب من الإنسان أن يصفي قلبه من هذه الأمراض الخلقية ، والمرتبة الثانية للأخوة أن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه ، فلا يكمل إيمان الإنسان ولا يكون مؤمناً حقاً ، حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه ، والمرتبة الثالثة للأخوة أن تؤثر أخاك على نفسك وأن تقدمه على نفسك وأن تجود بالشيئ وأنت محتاج إليه ، هذا هو الإيثار الذي مدح الله به الأنصار حينما قال : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) [الحشر : ٩] ، وكان سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : استكثروا من الإخوان في الله ، فإنهم ينفعونكم في الدنيا وفي الآخرة .

ومما يسرنا ويسر العالم الإسلامي أن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين قد عقد مؤتمراً دولياً في إستانبول بتركيا في ٢٨ – ٢٠٢٦/١٠/٢٩م ، حضره علماء وأقطاب العالم الإسلامي من أكثر من ٣٠/ دولة ، وكان المؤتمر ناجحاً مائة في المائة ، فأسرة المجلة تقدم التهانئ القلبية إلى رئيس الاتحاد وأمينه العام وجميع أعضائه ، بارك الله في جهودهم وجهادهم ، ونفع بهم الإنسانية .

رئيس تحرير المجلة

١٤٤٨/٥/٢١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد

إلى الإسلام من جديد

" إلى الإسلام من جديد " هتاف صدحت به البعث الإسلامي ، ونداء جهرت به منذ فجرها ، وصوت وقع في النفوس كل موقع ، ووقر في شغاف القلوب ، وأصغت إليه الإنسانية مسامعها ، والتذت بسماعها ، وطربت وترفلت في حُلل السعادة والهناء واهتزت كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب ، فلم يكن هذا النداء غريباً على آذان الأمة ، ولا هجينا على ألسنتها ، فإنه قد قرّب القاصي والداني ، والقريب والبعيد ، والصغير والكبير ، حتى كأن الأمة قد وجدت ضالتها ، ونالت بغيتها ، وظفرت بمرادها ، ذلك لأن هذا الصدى كان جديداً ، وكل جديد يكون لذيذاً ، وقديماً قال العرب : " لا جديد لمن لا يلبس الخلق " ، فالحاجة إلى أن ننادي بهذا النداء :

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

كانت الإنسانية تتأرجح بين صيحات ونعرات ، وهتافات ونداءات ، وقد غرق قارَب الإنسانية في أوحال الشك والارتياب ، ولا يكاد يخرج من هذا البحر اللجي ، فافتنّ الناس واختلفوا ، هذا يدعو إلى رفاهية العيش ورغد الحياة ، وذلك يسترعي الانتباه إلى الخوض في السياسة المعاصرة ، وهذا يدعو إلى نظريات مصطنعة وفلسفات حديثة اخترعها أنصاف المثقفين ، وذلك يستلفت الأنظار إلى اختيار مناهج التعليم ، وأساليب الدراسة ، كلٌ يُدلي بدلوه ، ويتبجح برأيه ، ويرى في ذلك نجاحاً في غايته ، وظفراً بمرامه ، وللناس فيما يعشقون مذاهب ، فيأتي الإسلام وينادي بأعلى صوته : لا عزة ولا كرامة ، ولا شرف ولا فخار إلا في الإسلام ، وهو الذي يخلع على الإنسانية للأبد لباس العزة والاباء ، وهو الذي يرفع بالإنسانية إلى قمة المجد والكرم ، وقنة الهمة والطموح ، فكان على طرف كل لسان ، وكان نداء كل قلب :

شعارنا الوحيدإلى الإسلام من جديد

إن القيم الخلقية والمثل العليا التي هي دُرة تاج الانسانية ، وواسطة

عقدها قد أفلست الإنسانية في هذا المجال ، فليس عندها رصيد من الأخلاق النبيلة ، ولا أثارة من التعاملات الرفيعة ، كل يعامل الآخر معاملة البائع والمشتري ، ويُتاجر الإنسانية مثل الأمتعة المادية ، ويظن أنه يحصل على حظ كبير ، ونصيب وفير من القيم الإنسانية ، فلا يتحاشى عن الإشادة بذكر أوربا وأمريكا ، التي جعلت الأخلاق الإنسانية سِلعة تُباع وتُشترى ، وتضعها دائماً نصب أعينها لكسب الأرباح المادية ، والمنافع العاجلة ، والناس الذين يشاهدون هذا المنظر الخادع يظنون أنهم أرفع مثال للمثل العليا ، ولا ينظرون إلى أن قلوبهم قد فطرت على حب النفع المادي ، وليس هتافهم إلا أن لا إله إلا البطن والمعدة ، فيأتي الإسلام ، ويقدِّم للإنسانية غاية أسمى ، وهدفاً أعلى ، وهو العبودية الكاملة ، والانقياد التام لله عز وجل ، فليس هناك جري وراء شهوات ، وسعي في منفعة عاجلة ، تتكالب على حطام الدنيا ، فالذي يتبنى هذه النظرية الفجة ، والفكرة الزائفة لفي حاجة إلى توجيه رشيد ، وإرشاد سديد ، فالإسلام هو الذي ينقذ أمثال هذه الرجال من هذه الأحلام المعسولة ، فحق لنا أن نقول :

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

إن فقدان الثقة بالإسلام هو الداء الدوي الذي ابتلي به الجيل الجديد ، فلم يعد الإسلام لديه ديناً يخلد خلود الزمان ، ولا نظاماً يقاوم طوارق الحدثان ، بل أصبح كنظرية بالية ، أو فكرة ممجوجة ظهرت ، وباضت فرَّخت ، ثم بادت وطوي بساطها ، وانكمش ظلها ، وانحسر نفعها ، وتضاءل خيرها ، حتى لم تبق لديها ثروة لصالح الإنسانية ، فكلما لجأ الشباب إليها ، أو أوى إلى سفينتها للتخلص من علائق الدنيا ، خاب أملها ، وفشل رجاؤها ، ولم يجد لديها ما يروي ظمأه ، أو يشفي غلته أو يريحه من متاعب متراكمة أو مصائب متأزمة ، هنالك شعر الشباب بالالتجاء إلى ظلال الإسلام الوارفة ، ودوحة القرآن الفيحاء ، فحلّ في ظلالها ، فحنت عليه حنو المرضعات على الفطيم ، هذا الوضع يتطلب منا أن نردد أمام كل وارد غريب ، أو غائب متسكع :

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

شبابنا الإسلامي على طريق نقيض ، إما يقدِّم صورةً شاحبةً هزيلةً للإسلام ، فهو يتميع ويسيل ويتفاعل مع سائر النعرات والتيارات ، ولا يفرق بين الغث والسمين ، والرطب واليابس ، والصحيح والسقيم ، بل يغني بمجد كل ما تملي عليه نفسه ، وتترنح أعطافه بكل ما تلذ به

نفسه ، وتقر به عينه من حطام الدنيا وملذاتها ، فهو ناعم نعومة الحرير ، ومنسجم مع الإباحية انسجام الفكر مع الكيان الإنساني ، أو هو متزمت رجعي ، لا يخرج من صومعته ، ويكون منطوياً على نفسه ، ومنقطعاً عن الناس ، ولا ينظر إلى زينة الدنيا ، ويحرمها على نفسه ، وكل من تمتع من شميم عرار نجد ، فكان عنده مارقاً من الدين مروق السهم من الرمية ، هذا الشباب لا يؤمن بتغير الزمان ولا يتغير مع تغير الحدثان ، ويكون حديداً في كل شيءٍ ، ولا يلين ولا يستكين وإن اقتضت الحاجة الشرعية ، بل يكون مصاباً بالعنجهية والبداوة والصلف والغرور ، ويرضى أن يعيش دائماً في عصر الحجارة ، ويواجه الغلظة والجفوة والشظف والشدة والبأس ، ويعاني مجازفة الحياة والصبر على المكاره ، فلا شك أن هذين الاتجاهين لا علاقة لهما بالإسلام ، ولا يمتان إليه بأي صلة ، فالطريق الوسط بين هذا وذاك ، ففي هذا الانحراف المتفاقم يتجدد هذا النداء :

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

غاية خلق الإنسان العبادة الكاملة والانقياد التام ، وقد أسندت هذه الوظيفة إلى هذه الأمة رجالاً ونساءً ، وأغنياء وفقراء ، وشباباً وكهولاً ، لكن أزمة الأزمات أن هذا العنصر من الناس قد نسي خلقه ، ونسي خالقه ، ونسي هدفه ، وفقد واجبه ، وتنازل عن وظيفته ، وانصهر في بوتقة الحضارة المادية ، وفي سبيكة الثقافة الرعناء ، فأصبحت الغاية لديها كعنقاء المغرب ، وهناك في العالم الإسلامي كل طبقة من طبقات الحياة نشيطة فعالة : الزراع والأكارون ، والمثقفون والأميون ، وأصحاب التجارات والصناعات ، وأهل الحدادة والنجارة ، وهناك أهل الوظائف الحكومية ، وذوو السلطات الرفيعة التي ينظر إليها الناس بالنظر الشزر ، ويتناطحون فيما بينهم لكسب هذه المناصب المادية ، رغم وجود هذه الطبقات لم تكن غاية هذه الأمة الركون إلى الدنيا ، والسعي وراء المادة ، وكانت غايتها أسمى وأرفع من هذا كله ، وقد نسيت أو تناست هذه الوظيفة ، فلحقت بالحضيض الأسفل ، رغم أنها كانت تقارع السماك الأعزل في المجد والشرف ، فتهابها الأكاسرة والقياصرة ، وترتعد منها فرائص الأعداء الألداء ، ولا يكون لهم وزن ولا قيمة في مصاف العالم ، وقد بسط نفوذها وسيطرتها على بقاع شاسعة من الأرض ، حتى قال الخليفة العباسي مرة مخاطباً لقطعة من السحاب : أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك ، وقد رزق مثل هذا الرعب والجلال الملك فيصل بن

عبد العزيز آل سعود رحمه الله فقال مرةً وهو يواجه الضغط الأوربي والأمريكي : " إننا تعودنا حياة الصحراء منذ قرون بعيدة ، وبإمكاننا أن نعود إليها حالاً إذا دعت إليها الحاجة " ، فلا يحصل مثل هذه الجراءة والصراحة إلا بالعودة إلى الإسلام ، والرجعة إلى منبعه الأصيل ، فحق لنا أن نقول :

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

ظهرحزب البعث العربي الاشتراكي في الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي ، واكتسح العالم بأسره ، وكان في زعمائه ميشيل عفلق وصلاح البيطار ، فنشأت من خلال هذا الحزب فتنة القومية العربية ، هذه هي الفتنة التي فرقت الناس على انتماءات كاذبة ، وجاهليات عفنة ، فتوزع العالم بين شرقي وغربي ، وعربي وعجمي ، فقيض الله لدحر هذه الفتنة مجلة البعث الإسلامي ورجالها الغيارى ، وفي مقدمتهم الإمام العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي ، فإنه جهز كتيبة إيمانية ، وجيشاً ربانياً تحدى زعماء هذه الفتنة ، وقارعهم بكتاباتهم العاطفية ومقالاتهم الجياشة ، وكان لمؤسس هذه المجلة الكاتب القدير الشيخ السيد محمد الحسني رحمه الله نصيب الأسد في دفنها في عقر دارها ، كما ساعده مساعدة غالية زميله المخلص أستاذنا الجليل سعيد الأعظمي الندوي رحمه الله ، وكان الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي والشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي جنباً إلى جنب في هذا الركب الإيماني ، فنفض هؤلاء الأعلام الغبار عن العقيدة الصافية النقية ، وأيقظوا الشعور الديني في العالم الإسلامي ، وهيأوا النفوس لحمل الرسالة الخالدة ، وجدّفوا سفينة الحياة الضائعة بين الأمواج العاتية والتيارات الجافية ، إن هذا العصر قد نجمت فيه هذه الفتنة من جديد ، وسئمت الإنسانية مضار هذه الفتنة وملت وعافت ، وهي تحنُّ إلى من يقدِّم لها طوق النجاة وصمام الأمان ، فلا بد أن نُردد هذا الهتاف :

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد .

قال الله تعالى : (يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [البقرة : ٢٠٨] .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

محمد فرمان الندوي
١٤٤٨/٥/٢١هـ
٢٠٢٦/١١/٢م

الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

(الحلقة الثانية)

الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي *

محبوب رب العالمين :

فالنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم محبوب رب العالمين ، لم يُكرم أحد بمثلٍ هذا الحب كما أكرم به الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، مرة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم صفات الأنبياء عليهم السلام ، فقال في آخرها : وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ، وأنا أول من يحرِّك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ، ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ، ولا فخر (سنن الترمذي : ٣٩٧٦) .

وقد أكرمه الله تعالى إلى جانب مقام المحبة بمقام الخلة ، فقد ورد في الحديث النبوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً (صحيح مسلم : ١٢١٦) .

آخر الرسل :

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وقد انتهت إليه سلسلة النبوة ، فلا نبي بعده ، قال تعالى : (وَلَكِن رَّسُول الله وَخَاتم النَبِيِّين) [الأحزاب : ٤٠] ، وجاء في حديث صحيح ، قال صلى الله عليه وسلم : إن لي أسماء : أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر ، وأن الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب ، والعاقب الذي ليس بعده أحد (صحيح مسلم : ٦٢٥٢) .

رسول العالمين :

كانت بعثته صلى الله عليه وسلم للإنس والجن ، قال تعالى : (وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً) [سبأ : ٢٨] ، وقال : (قُلْ يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) [الأعراف : ١٥٨] ، وقال تعالى : (وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ [الأنعام : ١٩] ، وقال صلى الله عليه وسلم في

* رئيس ندوة العلماء العام .

حديثه: كان النبي يُبعث إلى قومه خاصةً ، وبُعثت إلى الناس عامةً (حيح البخاري : ٣٢٨) ، وقال في حديث آخر : والذي نفس محمد بيده ! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار (صحيح مسلم : ٤٠٣) ، ولم تقتصر رسالته صلى الله عليه وسلم على الإنس والجن فحسب ، بل كان رسول العالمين جميعاً ، فقد قال الله تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)[الأنبياء : ١٠٧] .

الرسول المطاع :

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب الإطاعة ، فاعتقاد إطاعته واجباً جزء مهم من الإيمان بالرسالة ، فلا يكون المسلم مسلماً مالم يعتقد اتباعه واجباً ، وهناك نكتة لا بد من ذكرها هنا أيضاً أن اعتقاد إطاعته صلى الله عليه وسلم واجباً جزء من الإيمان ، وهو يرتبط بالعقيدة الإسلامية ، فإذا لم يؤمن به أحد فكان مارقاً من الدين ، لكن إذا كان هناك رجل يعتقد الإطاعة واجباً من حيث العقيدة ، ويصدر منه تقصير وغفلة ، فلا يكون كافراً ، بل يسمى فاسقاً ومذنباً .

وقد أمر في القرآن الكريم في عشرات من المواضع بإطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واعتبر ذلك إيماناً خالصاً ، قال تعالى : (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِيۤ أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً) [النساء : ٦٥] ، وقال في موضع آخر : (وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [الأنفال : ١] ، وقال أيضاً : (قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ) [آل عمران : ٣٢] ، وقد دلت هذه الآية بكل وضوح على أن من لا يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتولى عنه كان كافراً ، وقد حذر المخالفون لأمر الله والرسول من عاقبة وخيمة ، قال تعالى : (وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) [الأنفال : ١٣] .

وقد صرح الله تعالى في القرآن الكريم أيضاً أن إطاعة الرسول هي إطاعة الله تعالى ، فإذا لم يكن هناك أمر صراحةً في القرآن الكريم ، وذكره النبي صلى الله عليه وسلم فيعتبر ذلك من عند الله تعالى ، ويكون التسليم له واجباً ، قال تعالى : (مَّنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ) [النساء : ٨٠] .

بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم :

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بشر ، وقد صرح بذلك الله تعالى في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، ورد في آخر آية من سورة الكهف : (قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ) [الكهف : ١١٠]، ووردت أمثال هذه الكلمات أيضاً في سورة حم السجدة : (قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ) [فصلت : ٦] .

وقد تساءل مشركو مكة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما لهذا الرسول ؟ توجد فيه صفات وضرورات كما توجد في إنسان عام ، نقل القرآن الكريم هذا التساؤل فقال : (وَقَالُواْ مَا لِهَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلأَسْوَاقِ لَوْلآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً) [الفرقان : ٧] ، ثم أجاب في الآية التالية قائلاً : (وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلأَسْوَاقِ) [الفرقان : ٢٠] ، وقد جاء هذا المعنى في بني إسرائيل بكل وضوح ، وذكر القرآن الكريم مطالبات المشركين أولاً : (وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلأَرْضِ يَنْبُوعاً . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً . أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ) [بنو إسرائيل : ٩٠ – ٩٣] ، ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يقول بلسانه في آخر هذه الآية : (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً) [بنو إسرائيل : ٩٣] ، ثم قال الله تعالى : (وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوۤاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُوۤاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً) [بنو إسرائيل : ٩٤] .

ثم صرَّح الله تعالى من عنده بأن الرسول لو جاء لهداية الملائكة لكان ملكاً ، لكن هذا الرسول جاء لهداية الناس ، فكيف يكون ملكاً ، قال تعالى : (قُل لَوْ كَانَ فِي ٱلأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكاً رَّسُولاً) [بنوإسرائيل : ٩٥] .

وقد أودع الله في نفسية الإنسان أنه لا يمكنه إلا أن يتبع بني جنسه ، وبما أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل نموذجاً للإنسانية جمعاء ، كما قال الله تعالى : (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [الأحزاب : ٢١] ، فجعله الله تعالى بشراً ، ليكون صلى الله عليه وسلم نموذجاً وقدوةً للإنسانية جمعاء ، وهذه الأسوة الحسنة كاملة تضمن

نجاة الإنسانية .

عصمة النبوة :

اعتبر الإسلام أهم خصيصة للنبوة والرسالة أن الأنبياء والرسل يكونون بُراء من المعاصي والمنكرات ، ومعصومين من الذنوب والسيئات ، وهذه صفة بارزة يشاركها جميع الأنبياء والرسل ، لأن المذنب لا يمكن أن يهدي المذنبين ، ولا الأعمى أن يرشد العُميان ، فقد أثبتت تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم عظمةً وجلال جميع المعصومين لله تعالى (سيرة النبي : ج ٤/٤٣٥ ، طبع دار المصنفين) .

إن سيد جميع الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد بُعث للعالمين وإلى يوم القيامة ، فالإيمان بعصمته جزء مهم من أجزاء الإيمان بالرسالة ، ولا يكتمل الإيمان بدونه .

كل نبي بُعث في الناس ، وكان صلى الله عليه وسلم أيضاً بشراً ، لكنه كان أشرف وأعز من عامة الناس ، ففي جانب كان يأكل ويشرب ، ويتزوج النساء ، فيُرى مثل هذه الخصائص والمتطلبات الإنسانية في حياته ، وفي جانب آخر كان أرفع وأكبر بسبب روحانيته وعصمته وخصائص نبوته من عامة الناس ، ولا ينال هذه الخصائص أي إنسان .

هذا هو تعليم الإسلام المعتدل الذي لم يجعل الرسول إلهاً ولا صنماً ، ولا ملكاً ، ولا ابن الله ، ولم يجعل إنساناً كعامة الناس ، بل اعتبره إنساناً توجد فيه الروحانية والأخلاق ، ويكون نموذجاً للآخرين .

فالإيمان بأمثال هذه العقائد واجب لكل مؤمن ، وهو يتطلب أن تقع عظمته صلى الله عليه وسلم في القلوب كل موقع ، وينال حبه صلى الله عليه وسلم حظاً أكبر من كل شيئ ، هذا ما اعتُبر علامةً للإيمان ، وقد قال الله تعالى : (ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ) [الأحزاب : ٦] ، وقال صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين (صحيح البخاري : ١٥] .

(يتبع)

التصور القرآني للمرأة

الدكتور غريب جمعة *

العطف والكرامة الإنسانية :

جاء الإسلام إلى العرب وهم يعيشون حالةً من الفوضى والهمجية حيث لا دين يمنع ولا قانون يردع ، وإنما هي أعراف قبلية وتقاليد جاهلية اختلط فيها الخبيث بالطيب والصالح بالفاسد والفضيلة بالرذيلة وعدوان القوي على الضعيف .

وكان لابد للمرأة أن يصيبها شواظ من هذا السعير الذي يعيشه المجتمع حيث كانت أحقر شأناً من الرقيق حتى بلغ الأمر ببعض الآباء إلى وأد بناتهن وهن على قيد الحياة في وحشية وقسوة لا نظير لها مخافة العار ، وقد سجل الله عليهم هذه القسوة في القرآن الذي يُتلى إلى يوم القيامة حيث يقول تعالى : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) [النحل : ٥٨ – ٥٩] .

وهكذا جاء القرآن الكريم يندد بوأد البنات ، وأغلظ القول على مرتكبيه وتوعدهم بالويل والثبور في الدنيا والآخرة حيث يقول تعالى : (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) [التكوير : ٨ – ٩] .

وإذا كان الأمر قد بلغ بأهل الجاهلية إلى حد إنكار حق الحياة على البنت والتخلص منها ، فماذا سيكون حق المرأة من الحياة العامة والحقوق المتعددة في مجتمع مثل هذا المجتمع ؟

لقد انتهى الأمر به إلى أنه لا حق للمرأة في شيئ ، فهي من سقط المتاع وليست من المتاع النفيس ، فكانت تباع وتشترى وتؤجر وتورث ولا يخجل أحدهم أن يُسخِّر جواريه لاحتراف البغاء من أجل المال وإن كان

* الأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، بمصر .

غنياً .

هكذا كان وضع المرأة في المجتمع الجاهلي وهو يتلخص في عبارة واحدة هي : حقارة المرأة وضآلة شأنها عند العرب بصفة عامة .

وجاء القرآن كالغيث الذي تنتظره الأرض الجدباء ؛ جاء القرآن فقلَّب الأوضاع رأساً على عقب ، وأحدث انقلاباً في حياة المجتمع عامة وفي حياة المرأة خاصة ليس قبل الإسلام فحسب بل وبعد الإسلام بقرون عديدة وحتى يوم الناس هذا .

لا فضل لذكر ولا لأنثى في أصل الوجود :

كان أول ما نبه إليه القرآن أن هذه الجموع البشرية من بني آدم مدينة في وجودها إلى الذكر والأنثى مجتمعين ، فلا فضل لذكر على أنثى أو لأنثى على ذكر إلا بالتقوى وصالح العمل ، يقول تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات : ١٣] . (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء : ١] .

المرأة مسئولة أمام الله عن تصرفاتها :

بعد أن قرر القرآن الكريم وحدة الأصل للمرأة وللرجل لم يعامل المرأة معاملة الكائن المتطفل على الرجل ، بل قرر أنها مسئولة مسئولية كاملة أمام الله عن أعمالها كالرجل تماماً فوعدها بالإحسان إن أحسنت كما وعد الرجل ، وأنذرها بالعقاب إن أساءت ، ووزن أعمالها بنفس الموازين الذي يزن بها أعمال الرجل ثم فرض عليها ما فرضه على الرجل من الفرائض والواجبات والعبادات ، وجعل خطاب الرجل خطاباً لها حتى صار من الأحكام المعروفة في الشريعة الإسلامية أن كل ما كلف الله به الرجل فالمرأة مكلفة به إلا إذا كان هناك نص يدل على استثنائها في القرآن أو في السنة بصريح اللفظ أو دلت على ذلك شواهد الحال . وإليك بعض آيات القرآن التي تبدد أي شك في نظرة القرآن إلى المرأة والرجل .

يقول الله تبارك وتعالى بعد آيات تفيض بالضراعة الخالصة لله

عزوجل : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) [آل عمران : ١٩٥] . ويقول تعالى : (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) [النساء : ١٢٤] . ويقول جل شأنه : (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الأحزاب : ٣٥] .

فهذه آيات جامعة لكل ما يمكن أن يوصف به الرجل من الفضائل والآداب وكل ما يزاوله من أعمال وسعي وجهاد ، وجه القرآن الحديث فيها إلى المرأة كما وجهه للرجل وما نحسب أن وراء ذلك مطمع لأرقى النساء في العصر الحاضر .

مساواة المرأة بالرجل في الحقوق المدنية :

وإذا كنا قد لا حظنا أن الإسلام قرر المساواة بين الرجل والمرأة في الأمور الدينية أو من الناحية الأدبية البحتة فإنه لم يكتف بذلك بل لقد ساوى بين الاثنين في جميع الحقوق المدنية فجعل للمرأة ذمةً ماليةً مستقلةً عن زوجها على عكس المرأة الفرنسية التي تفقد أهليتها في التصرف بمجرد الزواج ، وجعل لها حرية التصرف في البيع والشراء والتعاقد والهبة والوصية والإعارة والوكالة وغير ذلك من عقود الالتزامات والمعاوضات ، وليس هنا مجال التفصيل ، بل هذه إشارات فقط تلقم المفترين على الإسلام أحجاراً في أفواههم حتى تخرس ألسنتهم لأن ما شرعه الله جل جلاله هو لحق وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

وإن كنا نلفت نظر القارئ إلى أننا لم نتحدث عن الآتي :

(١) تفصيل حق المرأة في الميراث .

(٢) حق المرأة في اختيار الزوج .

(٣) حق المرأة في التعليم .

(٤) حق المرأة في احتراف أي حرفة شريفة عند الضرورة .

تشخيص مشكلات المرأة في الحضارة المعاصرة :

من منظور الإمام النورسي :

ليسمح لي القارئ الكريم قبل أن ندخل في تفاصيل هذا المبحث أن نرى كيف خاطب الإمام النورسي أوربا ، لقد خاطبها خطاب الأستاذ المتبوع وليس خطاب التلميذ التابع وأحصى عليها أخطاءها في شجاعة لا نظير لها معتزاً بإيمانه متوكلاً على ربه ، لا يخشى فيه لومة لائم ، ونحن نثبت هنا شيئاً من هذا الخطاب على قدر ما يسمح به البحث .

حيث يقول رحمه الله : " ولقد خاطبت في تلك السياحة الروحية الشخصية المعنوية الأوربية بعد أن استثنيت محاسن الحضارة وفوائد العلوم النافعة ، فوجهت خطابي إلى تلك الشخصية التي أخذت بيدها الفلسفة المضرة التافهة والحضارة الفاسدة السفيهة ، وخاطبتها قائلاً : يا أوربا الثانية ! اعلمي جيداً أنك أخذت بيمينك الفلسفة المضلة السقيمة وبشمالك المدنية المضرة السفيهة ، ثم تدعين أن سعادة الإنسان بهما ألا شُلَّت يداك وبئست الهدية هديتك ولتكن وبالاً عليك وستكون .

أيها الروح الخبيثة التي تنشر الكفر وتبث الجحود ! ترى هل يمكن أن يسعد إنسان بمجرد تملكه ثروة طائلة وترفله في زينة خادعة ظاهرة وهو المصاب في روحه وفي وجدانه وفي عقله وفي قلبه بمصائب هائلة ؟ وهل يمكن أن يطلق عليه أنه سعيد ؟ ألا ترين أن من يئس من أمر جزئي وانقطع رجاءه من أمل وهمي ، وخاب ظنه من عمل تافه ، كيف يتحول خياله العذب مراً علقماً ، وكيف يتعذب مما حوله من أوضاع لطيفة فتضيق الدنيا عليه كالسجن بما رحبت !

فكيف بمن أصيب بشؤمك بضربات الضلالة في أعمق أعماق قلبه وفي أغوار روحه حتى انقطعت – بتلك الضلالة – جميع آماله فانشقت عنها جميع آلامه فأي سعادة يمكنك أن تضمني لمثل هذا المسكين الشقي ؟ وهل يمكن أن يطلق لمن روحه وقلبه يعذبان في جهنم وجسمه

فقط في جنة كاذبة زائلة أنه سعيد . . . ؟

لقد أفسدت أيتها الروح الخبيثة البشرية حتى طاشت بتعاليمك فتقاسي منها العقاب المرير ، بإذاقتك إياها عذاب الجحيم في جنة كاذبة . . . " [1] .

المادية وتحويل المرأة إلى سلعة :

عرفنا كيف خاطب الإمام النورسي أوربا الثانية – من وجهة نظره – ولكنه لم يقف عند هذا الحد بل لجأ إلى تفصيل وبيان في بعض الأمور مثل :

المادية وتحويل المرأة إلى سلعة :

يقول – رحمه الله – : لما كنت في هذه السنة معتزلاً الناس مبتعداً عن الحياة الاجتماعية نظرت إلى الدنيا نزولاً على رغبة إخوة وأخوات من النوريين فسمعت من أغلب من قابلني من الأصدقاء شكاوى من حياتهم الأسرية فتأسفت من الأعماق وقلت : " أوَ دبَّ الفساد في الحياة أيضاً ؟ إن الحياة الأسرية هي قلعة الإنسان الحصينة ولا سيما المسلم فهي كجنته الصغيرة ودنياه الصغيرة .

فتشت عن السبب الذي أدى إلى فسادها وعلمت أن هناك منظمات سرية تسعى لإضلال الشباب وإفسادهم بتذليل سبل الشهوات أمامهم وسوقهم إلى السفاهة والغواية لإفساد المجتمع الإسلامي والإضرار بالدين الإسلامي ، كما أحسست أن منظمات أيضاً تعمل في الخفاء وتسعى سعياً جاداً مؤثراً لدفع الغافلات من النساء اللطيفات إلى طرق خاطئة آثمة وأدركت أن ضربةً قاصمةً على هذه الأمة الإسلامية تأتي من تلك الجهة .

فأنا أبين بياناً قاطعاً يا أخواتي ويا بناتي المعنويات الشابات ! إن العلاج الناجع لإنقاذ سعادة النساء من الإفساد في دنياهن وأخراهن معاً . وإن الوسيلة الوحيدة لصون سجاياهن الراقية اللاتي في فطرتهن من الفساد ليس إلا في تربيتهن تربية دينية ضمن نظام الإسلام الشامل [2] .

---

[1] اللمعات ، ص ١٦٢ – ١٦٣ .

[2] اللمعات ، ص ٢٨٣ .

منهج الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم في تربية الشباب

الأستاذ موسى إبراهيم أبو رياش *

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الباهلي رضي الله عنه قَالَ : " إِنَّ فَتًى شَابّاً أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا . فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا : مَهْ مَهْ ، فقالَ : ادْنُهْ ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً ، قَالَ : فَجَلَسَ . قَالَ : أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ ؟ قَالَ : لا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ ؟ قَالَ : لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ ؟ قَالَ : لا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قالَ : وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ : لا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ قَالَ : لا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ . قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ . فَلَمْ يَكُنْ بَعْد ذَلِك الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْئ " . رواه الإمام أحمد بإسناد جيد ، ورجاله رجال الصحيح .

هل أتاك حديث الشاب ، الذي غلبته شهوته ، وسوَّل له الشيطان ، وزيَّن له الزنا والتقلّب بين النساء ، بعيداً عن رباط الزوجية والسكينة والرحمة التي تظللها ، والموئل الطاهر لتصريف ما أوجده الله فيه من شهوة ، ولكنه لم يستسلم ، وإن استساغ ما حُبِبَ إليه من شهوات ولذائذ ونزوات محرَّمة ، فما زال قياده في يدٍ ، وما فتئت بقية من إيمان تزجره .

كان يعلم أنّ الزنا حرام قطعاً ، ويتنافى مع الإيمان والانقياد لرب العباد ، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، يسأله الإذن والاستثناء ، لعله يتعاطف مع شبابه الفوَّار ، وشهواته المتأججة ، فيجد له مخرجاً ، فدخل المسجد ، ووقف على مسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى رؤوس الأشهاد ، قال : " يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا " هكذا بصراحة ودون لف أو دوران ، وبجرأة ولكن بأدب . لم يحسن التورية أو الكناية ، ولم تسعفه الحكمة ، وغلبٍ عليه طيش الشباب وتهوره .

لم يكن – كما يبدو – فقيراً ، فيستعين برسول الله صلى الله عليه وسلم على الزواج ، ولم يكن متعلقاً بفتاة تمنَّعت عليه ، أو رفضه أهلها فجاء يطلب وساطته صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن يعاني من

* قاص وناقد ومحرر أدبي (عمان – الأردن) .

معارضة أهله فجاء ليستعين به في إقناعهم ، بل جاء يطلب منه أن يأذن له بالزنا ، هكذا ، دون مواربة أو تلميح أو تمهيد أو حتى مِزقة من حياء ! (أي بقية من حياء) .

فاستنكر القوم سؤاله وتطاوله ، فكيف يجرؤ هذا الشاب الغرُّ أن يطلب مثل هذا الطلب وهو حرام لا شك فيه ، ولا يستحي فيطلبه على الملأ دون رادع أو زاجر ، وممن يطلب ؟ من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو مَنْ هو في مقامه ومكانته ، وهم لا يكلمونه إلا همساً ، أما هذا الشاب الأرعن فيسأل بكل وقاحة ولا يخجل ، ويرفع الصوت ليُسمع الجميع ، كأنّه لا يعبأ بهم ولا يحسب لهم حسابا ، فزجروه ونهوه ، وقالوا : (مَهْ مَهْ) أي أسكت وكُفَّ عن هذا الفحش والهراء الذي تقول .

فنظر إليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فرأى شاباً فتياً ما زال في أول الشباب وزهوته ، تتدفق في عروقه الدماء الحارة ، سأل ولم يجانب الأدب ، واحترم مقام الرسالة ، نعم كان جريئاً في سؤاله ، وطلب ما يعلم حرمته ، ولكنه جاء يستأذن ، ولم يتعد حدود اللّه بعد ، فما زال على فطرته وإيمانه وإن حركته الشهوات ، وزيَّن له إبليس سوء مطلبه .

فعلم رحمة اللّه للعالمين أنّه بحاجة إلى مَنْ يأخذ بيده ، ويكون عوناً له على إبليس ووسوسته ، وأن يزيل عنه غشاوة الشهوات التي تعمي وتصم ، وتحجب نور الإيمان ، ومن أولى به صلى اللّه عليه وسلم أن يكون اليد الحانية والصدر الواسع والبلسم الشافي ، فطلب منه أن يقترب (ادْنُهْ) ، فدنا الشاب ، وجلس بين يدي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فسكت القوم ، كأنّ على رؤوسهم الطير ، فقد تكلم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وليس لهم أن يعقبوا عليه أو يستدركوا ، فهم الآن في مدرسة محمد صلى اللّه عليه وسلم ، وهم أحوج أن يصغوا لحكمته ، ويتعلموا منه فصل الخطاب ، وكيف يتصرف مع هذا الشاب الطائش ، وينزع من عقله وقلبه ما أعمى بصيرته ، وأظهر سريرته ، وقد كان إلى الكتمان أحوج ، وإلى مداراة سوءة لسانه أولى .

علم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنّه لا ينفع أن يذكره أنّ الزنا حرام ، فهو يعلم ذلك علم اليقين ، وإلا ما طلب الإذن . ولا يصلح أمره أن يطلب منه الزواج ، فهو لم يأت طالباً للعفة ، بل ليشبع شهواته بالتنقل بين النساء ، يقطف زهرة هنا ، وزهرة هناك ، دون أن يتحمل مسؤولية أو يأبه بشيئ . ولن يجدي أن يقول له : صُم ، فإنّ الصوم وجاء ، فما جاء يبحث عن حلّ لما يعانيه من شهوات ، بل جاء يستأذن ليتمرغ فيها . ولا ينبغي له أن يحل ما حرم اللّه ، وحاشاه ، فهو الأمين المؤتمن على أحكام اللّه

وشرعه ، فهاجمه من حيث لا يحتسب ، وباغته من ناحية العرض ؛ لأنّ العربي يموت دون عرضه ، ويفضل الموت إن مس عرضه سوء ، ولباطن الأرض خير له من ظاهرها عندئذ ، فالعرض حصن ، إن مسه سوء ، تهاوى ، فلا بُدَّ من زلزلة هذا الحصن ، وكشف ما قد يتعرض له من تهديد خطير ؛ ليفيق الشاب من غفلته ، ويزول الران عن قلبه . فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " أَتُحِبُّهُ لأُمِّك ؟ " .

فما أحسب إلا أنّ الشاب انتفض واحمرَّ وجهه ، وقال : " لا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ " ، يا للهول ؟ ومَنْ يرضى الزنى لأمه ؟ حتى مَنْ لا يؤمن باللّه لا يرضاه ، فكيف بشاب صحابي عربي مسلم ، وما زال الإسلام نديا ، تتنزل أحكامه ، وما انفك رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قائما بينهم ، يحكم بما أنزل اللّه . وانظروا إلى أدبه فهو يدعو اللّه أن يجعله فداءً لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، ووقاية له من كل ما سوء وشر . فكأنّي برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم تبسم ، فقد أصاب السهم الأول هدفه ، وقال له : " وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ " ، فما لا ترضاه لأمك ، كيف ترضاه لأمهات المسلمين من قومك وعشيرتك وجيرانك ، وكل امرأة أم أو ستكون أما .

ربما رفض الشاب أن تكون أمه عرضةً للزنا ؛ لجليل قدرها وسمو مكانتها ومنزلتها ، فهي نبع المحبة وهي سبب وجوده ، ووصية اللّه ورسوله لكل مسلم ، فقد يرضاه لمَنْ هنَّ أقلّ منها مكانة ، فقال له : " أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ ؟ " .

وما أظن إلا أنّ الشاب قد جحظت عيناه ، وارتجفت ساقاه ، وليست له ابنة – كما يبدو – ولكن لو كانت له بنت أيرضى لها الزنا ؟ أيرضى الزنا لفلذة كبده وحشاشة فؤاده ؟ فقال دون تردد أو تفكير : " لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ " ، فالأمر بدهي لا يحتاج إلى مناقشة أو مساومة أو مفاضلة ، ومَنْ يرضى ؟ وكيف يرضى ؟ يموت ولا تشاك ابنته بشوكة ، فكيف يقبل لها الزنى ؟! وهل يتصور مجرد تصور أن تتعرض للزنى ؟ والبنت هي زهرة أبيها ، وعنوان شرفه وعرضه ، وما قيمة الحياة إن لحق بشرفها وعرضها أي سوء ؟ فقال له الرسول صلى اللّه عليه وسلم : " وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ " ، وكل النساء بنات ، ولهن آباء يفدونهن بأرواحهم ، ولا يرضون أن يُمس شرفهن بما يُشين ولو بكلمة ، فكيف أن تنتهك أعراضهن ؟!

الأم أصل ، والبنت فرع ، ولا يفرط فيهما ذو لب ، ودونهما خرط القتاد ، فربما مقام الأخت أقل شأناً ، فهي المنافسة في حب ورعاية

الوالدين ، والمشاكسة أحياناً ، والشريك في الإرث من بعد ، وربما خاصمته أو عادته من أجل زوج ، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ ؟ " .

وكأنّي بالشاب تلقّى صفعة على وجهه ، أو لطمة على أم رأسه ، فقال : " لا وَاللّهِ ، جَعَلَنِي اللّهُ فِدَاءَكَ " ، فالأخت رحم وعرض ، وهي الشقيقة والأم بعد الأم ، ومقامها من مقام الأم ، فلا وألف لا ، فقال له الرسول صلى اللّه عليه وسلم : " وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ " ، فكما لا تحبه أنت لأختك ، وكذلك جميع الناس ، وكل امرأة هي أخت لهذا أو ذلك ، يذود عنها ، ويموت ولا يقربها رجل بغير ما أحلّ اللّه .

لعله يرضى ذلك للعمّة ، نعم ، هي رَحِمُهُ ، ولكنه ليس مسؤولاً عنها ، فلها زوج وأولاد وإخوة ، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ " .

وإخال أنّ الشاب شعر أنّه تسرع وتورط ، ودخل مقاماً أجلّ أن يدانيه ، فقال : " لا وَاللّهِ ، جَعَلَنِي اللّهُ فِدَاءَكَ " ، فالعمة أخت الأب ، ومقامها من مقام الأب ، ودمها من دمه ، وعرضها من عرضه ، فدون ذلك جزُّ الرقاب ، فقال له الرسول صلى اللّه عليه وسلم : " وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ " ، واحدة بواحدة ، وهل عمتك أكرم وأجل من عمات الآخرين ؟ وهلَ أنت أحرص على عرضك منهم ؟

لعل الخالة غير ، وأمرها مختلف ، فما هي إلا أخت لأم ، وقد تكون عند زوج غريب أو من عشيرة أخرى ، فقال له الرسول صلى اللّه عليه وسلم : " أفتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ " .

ومن المؤكد أنّ الشاب قد استسلم ، وأُسقط في يده ، وأدرك سوء ما اقترف ، وأن لا حجة له ولا مبرر ، فقال : " لا وَاللّهِ ، جَعَلَنِي اللّهُ فِدَاءَكَ " فحتى الخالة أمرها جلل ، فهي الأم الثانية ، ومقامها من مقام الأم ، وهي الحضن الدافئ إن فقد الأم ، والحنان ، إن نضب الحنان ، وما لا يرضاه لأمه لا يرضاه لخالته . فقال له الرسول صلى اللّه عليه وسلم : " وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ " ، فقد فُطروا على ذلك ، وتربوا على احترام الخالة وتقديرها وحمايتها من كلمة سوء ، فكيف بعرض يُنتهك ، ومقام يُدنس ؟

وصلت الرسالة واضحةً جليّةً إلى الشاب ، فكل النساء أمهات وبنات وأخوات وعمات وخالات لهذا أو ذاك ، بل كل امرأة هي أم وابنة وأخت وعمة وخالة في الوقت نفسه ، فإذا كان يأبى أن تمس أيا من محارمه قربت أو بعدت بسوء ، حفاظاً على العرض والشرف ، فكل

الناس كذلك لا يرضون لمحارمهم ذلك ، وليسوا أقل منه حميةً وغيرةً .

وأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ الشاب قد اقتنع بأنّ طلبه مُحال ، وأنّ الزنا حرام ، وأنّه لن يقترفه ولن يقربه ، ولكنها القناعة العقلية فقط ، فما زال الهوى يتربص به ، والشيطان يترصد له ، والشهوات تناديه ، فلا بُدَّ أن يُحصّن قلبه ، وينور بصيرته ، ويوقد شعلة الإيمان في قلبه ، ولا سلاح أقوى من الدعاء ، وإذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو الدواء والشفاء والحصن الحصين ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدر الشاب ودعا له : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " ، فما قدحت الشهوات بنارها إلا لذنوب اقترفها وتكاثرت عليه فطمست قلبه ، وأغشت بصيرته ، ولن يَطْهُرَ القلبُ إلا بغفران الذنوب ، وغفران الذنوب لا يكون إلا بهجرها والتوبة منها . وإن طَهُرَ القلب امتلأ إيماناً ونوراً ويقيناً ، وكيف لقلب تلألأ بالنور ، وامتلأ بالإيمان ، أن يفكر بالزنا أو حتى بما يقرب إليه أو يذكر به ، أو يدعو إليه ، إنّه قلب تحصن ، وإن تحصن القلب تحصنت الجوارح ، وتحصن الفرج .

فخرج الشاب خفيفاً رشيقاً ، يشع وجهه إيماناً وبشراً ، فقد غفر الله له وطهر قلبه وحصن فرحه ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد ، فهو الشفيع المشفع ، أكرم الخلق على الله ، وأحبهم إليه .

خرج الشاب ، وهو يبتسم في وجوه القوم ، ويهش لهم ، لكأنّه يعاتبهم ، ويقول لهم : أرأيتم كيف استقبلني من هو أكرم منكم وأرفع مقاما ؟ وكيف نزع السواد من قلبي برفقه ولينه ورحمته وصدره الواسع وحسن استقباله ؟ لم يُسلمني للشيطان ، وقد كدتم أن تفعلوا . أعلم أنها غيرة منكم وحميّة لدينكم ومحبة لنبيكم ، ولكن ما هكذا تورد الإبل أيها الأحبة . تعلموا من حبيبي صلى الله عليه وسلم واقتدوا به ، بأبي هو وأمي ، ما أطيبه وما أحلمه وما أرقّه وأرقاه !

خرج الشاب وهو يعجب كيف سولت له نفسه أن يسأل هكذا سؤال ، وأي سواد كان يغشاه ؟ وأي مسوغ حبب إليه الزنا ؟ وأي جهل ولغ فيه ؟ خرج وهو يبغض الزنا وكل علائقه ، وينفر مما يقرب إليه ، ويعجب كيف يقترف الزاني فعلته وهو يعلم أي كبيرة فعل ، وأي حرمة انتهك ، وأي عرض اعتدى عليه ؟ أليس له من عقله وإيمانه رادع ؟ ألم يعلم أنّه اعتدى على حمى الله ، ومن اعتدى على حمى الله فمن يحميه من الله ؟!

مقصد "الإيجابية" في الشريعة الإسلامية

الدكتور عبد القادر دغوتي *

معنى "الإيجابية" :

يمكن تعريف " الإيجابية " بأنها : صفة في النفس ، تبعث على بذل الجهد واستفراغ الوسع ، والأخذ بما تيسر من الأسباب الموافقة للشرع ، مع اليقين في الله والتوكل عليه ؛ لنفع النفس والغير .

وهي صفة من الصفات المحمودة التي يتمايز بها الناس ، وتتفاوت بحسبها هممهم وعزائمهم ، وتتباين أقدارهم ومراتبهم . وضدها " السلبية " .

" الإيجابية " مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية :

إن اكتساب هذه الصفة الحميدة وبثها في النفوس ؛ مطلب شرعي ، لما لها من أثر طيب على أمة الإسلام . إذ بها تترقى إلى ما أراد الله لها من مرتبة الخيرية والوسطية والشهود الحضاري على الأمم ، مصداقاً لقول الباري جل وعلا : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [آل عمران : ١١٠] ، وقوله سبحانه : (وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) [البقرة : ١٤٣] .

فهي مقصد جليل من مقاصد الإسلام ، يدل عليه استقراء كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام ؛ حيث تتضافر نصوص كثيرة ، في موضوعات جزئية متعددة ، وفي سياقات متباينة ، تفيد بمجموعها القصد إلى بث الإيجابية – بمفهومها المتقدم – في نفوس العباد .

وسأكتفي بذكر بعض تلكم النصوص ، ثم من خلالها نستخلص أهم تجليات " الإيجابية " والإنسان الإيجابي .

* مراكش ، daghouti03@gmail.com

أولاً : نصوص من القرآن والسنة تفيد معنى " الإيجابية " :

(أ) من نصوص القرآن الكريم :

- قول الله تعالى : (هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ) [الملك : ١٥] .
- وقوله جل وعلا : (فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلاَةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ) [الجمعة : ١٠] .
- وقوله عز وجل : (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِيۤ أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيراً) [النساء : ٩٧] .
- وقوله جل في علاه : (وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً) [النساء : جزء من الآية ١٠٠] .
- وقوله جل جلاله : (وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ) [التوبة : ٧١] .
- وقوله سبحانه : (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبرّ وَٱلتَّقْوَىٰ) [المائدة : ٢] .
- و قوله في نبيه موسى عليه السلام الذي بادر لتقديم يد العون لبنتي الشيخ الكبير : (فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى ٱلظِّلّ فَقَالَ رَبّ إِنّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) [القصص : ٢٤] .
- وقوله تعالى في الرجل المؤمن الذي جاء يسعى لينصح قومه ويدعوهم إلى الإيمان : (وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ . ٱتَّبِعُواْ مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُّهْتَدُونَ) [يس : ٢٠ – ٢١] .
- وقوله سبحانه على لسان نبيه يعقوب عليه السلام وهو يحث أبناءه على الخروج للبحث عن أخيهم يوسف الذي انقطعت أخباره منذ سنوات ، مع اليقين في الله وعدم اليأس من رحمته : (يا بَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ) [يوسف : ٨٧] .
- وقوله في نبيه يوسف عليه السلام الذي بادر ، فطلب من ملك مصر أن يوليه مسؤولية تدبير خزائن البلاد ؛ راجياً أن ينفع الناس بكفاءته وعلمه وأمانته ، فيحقق لهم العدل والأمن الغذائي .... قال الله تعالى :

(وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ . قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ) [يوسف : ٥٤ — ٥٥] .

- وقوله في عباده المتوكلين : (ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ) [آل عمران : ١٧٣] .
- وقوله تعالى في الأمر بأخذ أسباب القوة لردع العدو : (وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا ٱسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) [الأنفال : جزء من الآية : ٦٠] .
- وقول الملك سبحانه في الأمر بأخذ الحذر من العدو المتربص والاستعداد الدائم لأي طارئ وعدم الغفلة : (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوۤاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُمْ مَّرْضَىۤ أَن تَضَعُوۤاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً) [النساء : ١٠٢] .

(ب) ومن نصوص السنة النبوية الشريفة :

- قول نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم : " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ؛ لرزقكم كما يُرزق الطير ؛ تغدو خماصاً وتروح بطاناً " [1] .
- قوله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس ! إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه ، فلا تستبطئوا الرزق ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، فخذوا ما حل لكم ، وذروا ما حرم الله " [2] .
- وقوله صلى الله عليه وسلم : " لأن يأخذ أحدكم أحبله ، ثم يأتي الجبل ، فيأتي بحزمة من حطب على ظهره ؛ فيبيعها ، فيكف الله بها وجهه ؛ خير له من أن يسأل الناس ،أعطوه أو منعوه " [3] .
- وقول النبي صلى الله عليه وسلم : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله

---

[1] سنن الترمذي ، رقم الحديث : ٢٣٤٤ ، وقال : حديث حسن .
[2] سنن ابن ماجه ، رقم الحديث : ٢١٤٤ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ، رقم : ٢٧٤٢ .
[3] صحيح البخاري ، رقم الحديث : ١٤٧١ .

من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيئ فلا تقل : لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله ، وما شاء فعل ؛ فإن " لو " تفتح عمل الشيطان " [1] .

- وقوله عليه الصلاة والسلام : " اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك " [2] .
- وقوله صلى الله عليه وسلم : " من دل على خير ؛ فله مثلُ أجر فاعله " [3] .
- وقوله صلى الله عليه وسلم : " بلغوا عني ولو آية " [4] .
- وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض ،حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ، ليصلون على معلمي الناس الخير " [5] .
- وقوله صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان " [6] .
- وقوله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم ؛ خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم " [7] .
- وعن أبي موسى رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " على كل مسلم صدقة " ، قال : أرأيت إن لم يجد ؟ قال : " يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق " ، قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : " يعين ذا الحاجة الملهوف " ، قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : " يأمر بالمعروف أو الخير " ، قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ قال :" يمسك عن

---

[1] صحيح مسلم ، رقم : ٢٦٦٤/٣٤ .
[2] صحيح الجامع ، رقم : ١٠٧٧ .
[3] صحيح مسلم ، رقم الحديث : ١٨٩٣ .
[4] صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٣٤٦١ .
[5] سنن الترمذي ، رقم الحديث : ٢٦٨٥ ، وقال : حديث حسن .
[6] صحيح مسلم ، رقم الحديث : ٤٩/٧٨ .
[7] صحيح رياض الصالحين ، رقم الحديث : ٥٥٤ ، هذبه وحققه وضبطه : أبو أسامة سليم عيد بن محمد الهلالي ، السلفي ، الأثري ، دار غراس ، الكويت ، ط ١ (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) .

الشر ؛ فإنها صدقة "[1] .

- قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه "[2] .
- وقوله صلى الله عليه وسلم : " لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق "[3] .
- وقوله صلى الله عليه وسلم : " يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا "[4] .
- وقوله صلى الله عليه وسلم : " إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلُكهُم "[5] .

ثانياً : من تجليات " الإيجابية " :

الإنسان الإيجابي تظهر عليه آثار الإيجابية في قوله وفعله ، وفي حركته وسكونه ، وفي علاقته مع ربه ونفسه وغيره ، وفي حياته كلها مهما تغيرت أحوالها ؛ في اليسر والعسر ، وفي المنشط والمكره ، وفي السراء والضراء ، وفي الفرح والقرح ، وفي السعة والضيق ، وفي الغنى والفقر ، وفي الصحة والمرض ، وفي الأمن والخوف ، وفي الأخذ والعطاء ، وفي الحب والبغض ، وفي الرضا والغضب ، وفي الوفاق والخلاف ، وفي السر والعلن .... إلخ .

ويمكن إبراز عدد من تجليات الإيجابية انطلاقاً من النصوص الشرعية المتقدمة . منها ما يلي :

- اليقين في الرب الكريم سبحانه وتعالى ، والإيمان بقضائه وقدره ، وصدق التوكل عليه ، وحسن الظن به ، وعدم القنط أو اليأس من رحمته .
- الهجرة والتنقل في أرض الله الواسعة ، والسعي والحركة ، وبذل الجهد ، والأخذ بما يمكن من أسباب مشروعة ؛ لطلب الرزق ،

---

[1] صحيح البخاري ، رقم : ٦٠٢٢ ، وصحيح مسلم ، رقم : ١٠٠٨ .
[2] صحيح البخاري ، رقم الحديث : ١٠ ، وصحيح مسلم ، رقم الحديث : ٤٠ .
[3] صحيح مسلم ، رقم الحديث : ٢٦٢٦/١٤٤ .
[4] متفق عليه ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، رقم الحديث : ١١٣١ .
[5] صحيح مسلم ، رقم الحديث : ٢٦٢٣/١٣٩ .

وجلب النفع للنفس والغير ، ودفع شر واقع أو متوقع ، وتغيير الوضع من حال ، إلى حال أفضل وأحسن .

- كسب المال من الحلال ، وحسن تدبيره ، واستثماره وتنميته ، وإنفاقه في صلاح النفس والعيال وذوي الرحم والقربى والجوار والصحب وكل من له حق في دين الله .
- الإسهام في مشاريع الخير التي يعود نفعها على عموم المسلمين ، والمبادرة والتسابق إلى قضاء حوائج المحتاجين ، وسد الثغرات في المجتمع المسلم .
- الحرص على تعلم العلم النافع ، وتعليمه للناس .
- تنبيه الغافل ، وإرشاد الضال ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الخير .
- الأخذ بأسباب القوة والنصر والتمكين ، مادياً ومعنوياً .
- اليقظة والحيطة والحذر ، وعدم الغفلة والتواكل والتهور .
- الإحسان إلى خلق الله بالقول والفعل ، ولو بأيسر شيئ مستطاع .
- الإمساك عن الشر ، وتجنب الإيذاء .
- معاملة الناس بما يقتضيه حفظ أعراضهم وأموالهم وأمنهم وطمأنينتهم .
- الحرص على التبشير وبث روح الأمل والتفاؤل في النفوس .
- الامتناع عن التنفير والتقنيط والتيئيس والإحباط .

خاتمة :

- إن " الإيجابية " أساس القوة ، والبناء ، والتنمية ، والتفوق ، والريادة ، والخيرية ، والفوز والفلاح في المعاش والمعاد .
- لذا فإن الإسلام يحث على اكتسابها وتربية الناشئة عليها ، وبثها في نفوس الأجيال ، من خلال إبرازها في الخطاب التربوي والدعوي والإعلامي ، وإظهارها على المستوى الفعلي متمثلة في الممارسة العملية للقادة والدعاة والمربين والمصلحين .

والله المستعان ، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

التأمين الصحي شرعاً في الظروف الحالية

(الحلقة الثانية)

د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي *

(٤) هل يجوز التأمين الصحي للضرورة ؟

إنَّ من أبرز الأمور التي تجدر بالذكر بل تستحق بالعناية الفائقة للتأمل والتفكر في هذا العصر أنَّ تكاليف العلاج تزداد بسرعة مع مرور الزمن ، حتى أصبح العلاج عبئاً لا يُستطاع ، لا على الفقراء وحدهم ، بل حتى على ذوي الدخل المتوسط أيضاً . وفي ضوء هذه الظروف والأوضاع يُثار سؤال : هل يمكن مع صرف النظر عن الهيئة التركيبية للتأمين الصحي ، وما يشتمل عليه من الربا والقمار وغيرهما من المحظورات الشرعية أن يرخّص التأمين الصحبي مراعاة للضرورة ، استناداً إلى القاعدة الفقهية المعروفة ، وهي : " الضرورات تبيح المحظورات " ؟

وهذه المسألة ، وإن كانت في طبيعتها وصورتها من المسائل العملية والمهمة جدّاً في جانب ، وهي في الحقيقة أشدُّ وأكبر دقة وخطورة في جانب آخر ؛ لأن الجرأة على الحكم والإفتاء بإباحة أمر ثبتت حرمته ومنعه بدلالة نصوص شرعية كثيرة ، أو استثناء صورة من صور ذلك الأمر مع بقاء علل المنع والتحريم فيها ، ليست أمراً هيِّناً ميسوراً ؛ بل إن مثل هذا الحكم وإجراء الفتوى يحتاج إلى تقوى الله تعالى للغاية في جانب ، وفي جانب آخر يحتاج إلى رسوخ في العلم ، وعمق في الفهم والإدراك ، وإحاطة العلم بالوقائع والأحوال ، ومعرفة جيّدة بمتطلبات العصر ، والمؤهلة البالغة لإدراك وتمييز بين الحقيقة والواقعية وبين الأمور المصطنعة والمفتعلة من جهة أخرى ، ولا سيما في عصر الدعاية والتزوير والمهارة في تقديم الكذب في صورة الحقيقة .

وفي الحقيقة بلا تكلف وتصنع إنني لا أملك مؤهلات للخوض في مثل هذه المسألة الخطيرة ، غير أنني امتثالاً لأمر أساتذتي الموقرين ومشائخي المحترمين ، أُعيد هنا ما تعلمته منهم ونهلت من معين علومهم وسمعته منهم ، داعياً الله تعالى أن يعينني ويهديني إلى الرأي الذي يرضاه ، آمين ثم آمين .

مع الاعتراف من غير تكلّف بقلة بضاعتي العلمية لاحظت هذه

---

* عميد كلية البحث والتحقيق: جامعة العلوم ، غَرْهَا – غجرات .

المسألة وأمعنت النظر فيها مراراً ، وبذلتُ فيها ما في وسعي من التأمل والنظر ، ثم انتهيتُ إلى النتيجة الآتية في ضوء الأدلة الشرعية ومقاصد الشريعة :

وفي الندوة الفقهية الخامسة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي (الهند) ، المنعقدة في دار العلوم الصديقية بمدينة ميسور بولاية كرناتكا ، في الفترة من ١٠ إلى ١٢ من شهر صفر سنة ١٤٢٧هـ ، الموافق ١١ إلى ١٣ من شهر مارس سنة ٢٠٠٦م ، نوقشت جملة من الموضوعات وأصبحت موضوع البحث والنقاش بين العلماء العباقرة ، وكان من بينها موضوع " التأمين الصحي " ، وقد بحثه عدد ملحوظ من العلماء الراسخين في العلم وأصحاب الإفتاء والفقهاء ذوي البصيرة وناقشوا مناقشة علمية عن بصيرة وخبرة ، وانتهوا فيه إلى القرارات والتوصيات الآتية :

(١) التأمين الصحي ، كسائر أنواع التأمين الأخرى ، يشتمل بلا ريب على أنواع مختلفة من الأمور غير المشروعة والموانع والمحظورات ؛ فلأجل ذلك أن التأمين الصحي غير جائز في عامة الأحوال ، ولا فرق في هذا الحكم بين المؤسسات الحكومية وغير الحكومية .

(٢) إذا كان التأمين الصحي إلزاميّاً بمقتضى القانون الرسمي الحكومي ، فيُرخَّص فيه ؛ إلا أن ما زاد على مقدار المبلغ المدفوع من أقساط التأمين ، مما يُنفق في العلاج ، يجب على من كان موسراً أن يتصدق بمقدار ذلك ، من غير نية الثواب .

(٣) يمكن إنشاء نظام بديل للتأمين الصحي المروَّج السائد في الوقت الحاضر وفق التعاليم الإسلامية ، ومن أسهل صوره الحسنة أن يُنشئ المسلمون مؤسسات وأنظمة خيريّة يكون هدفها العظيم الأساسي تقديم المساعدة للمحتاجين إلى العلاج والمعالجة إسعاف المرضى بحسب حاجاتهم [١] .

وهذه القرارات جاءت بألفاظ بالغة الدقة والاتزان ، وراعت المتغيرات والأحوال المتجددة المتطورة مراعاة تامة ، كما أنها منسجمة مع مقتضيات العصر ومتطلباته ؛ ولذلك ينبغي أن تُترك على ما هي عليه من غير تغيير ، بل لا تمس حاجة للتصرف ، ولا مجال هناك لإيقاع تبديل في مضمونها في هذا الوقت ؛ وذلك بأسباب :

(١) إنَّ إجراءَ مزيدٍ من الحذف والإضافة في تلك القرارات القديمة

---

[١] القضايا المعاصرة وقرارات المجمع الفقهي ، ص ٢٢٦ – ٢٢٧ ، المجمع الفقهي الإسلامي ، نيو دلهي – الهند .

السابقة آنفاً ، بل إتيان التبديل والتغيير فيها يُفقد روح معناها ومضمونها ، ويُذهب ما فيه من التوازن والاعتدال ، كما يؤدّي إلى أن تزول من قلوب الناس شناعةُ المحرَّمات والممنوعات الشرعية وقُبحُها ، ويُضيف إلى جراءتهم السابقة وتساهلِهم في سلوك هذا الطريق ، وكما سيؤدي ذلك إلى تقوية نزعة الترف والانحراف لديهم ، حتى يُخشى أن يفضي إلى صيرورة هذا الجانب من جوانب الأحكام الشرعية الإسلامية لعبةً يتلاعب بها الناس شيئاً فشيئاً .

(٢) إنَّ نفس الصورة التي رُسمت للأحوال والأوضاع التي يواجهها الناس اليوم في السؤال المعروض ، كانت موجودة قبل عشر أو خمس عشرة سنة كذلك مع اختلافٍ يسير دون فاحش ، غير أن الفرق هو أن القوة الشرائية ومالية العملة الهندية كانتا في ذلك الوقت أقوى مما هما عليه اليوم ، وقد طرأ عليهما في العصر الحاضر انخفاضٌ ملحوظ ؛ ولذلك يبدو العلاج في زماننا ويترآى للناظرين أغلى وأكثر كلفةً من الناحية المالية . وهذه الحقيقة لا تنكر أن مستوى المعيشة قد ارتفع ، وازدادت معه دخول الناس وأجورهم أيضاً ؛ فكان الناس يسكنون في البيوت غير المبنية بناءً متيناً في الزمن الماضي ، وأصبحوا اليوم يسكنون في البيوت المشيدة والمبنية ، وكانوا في السابق أهلَ جدٍ وكدحٍ وتحملٍ للمشاق ، وأصبحوا اليوم أكثر ميلاً إلى الراحة والرفاهية وغلب عليهم الكسلان على وجه العموم ، بل إن اختراع الآلات والأجهزة وتطورها مع مرور الزمن أخذ يجعلهم كسلان ويقلّل قدرتهم على تحمل المشاق والاعتماد على أنفسهم من حيث لا يشعرون .

ولا ننكر وجود الغلاء وارتفاع تكاليف العلاج ، إلا أن الأمر ليس بالغاً إلى الحد الذي يُصوَّر ويُضخَّم به ؛ وذلك ليُتوصَّل رغم اشتمال التأمين الصحي على الربا والقمار والغرر وغيرها من المحرمات الشرعية ، إلى القول بجوازه في عامة الأحوال العادية أيضاً .

(٣) إنَّ الحاجة التي يُستند إليها في القول بجواز التأمين الصحي ليست في معنى " الاضطرار " ، ولا يصح أن يقال أنها " ضرورة شرعية " بالمعنى الذي يترتب عليه الترخيص في المحظورات ؛ لأن الاضطرار والضرورة الشرعية يتعلقان بالحقيقة والواقعية الكائنة على وجه الأرض وزمن الحال الحاضر عمليّاً ، بأن وصل إنسان بالفعل إلى حالة الاضطرار ، وابتلي بمشقة ضخمة غير معتادة ، ولم يجد أمامه مخرجاً أو طريقاً آخر لدفعها إلا باستعمال شيئ محرّم ممنوع شرعاً ، مثلاً ينبغي أن يتأمل في

تلك القواعد والضوابط الفقهية المتعلقة بدفع الضرر ورفع الحرج ، " الضرورات تبيح المحظورات " ، و " المشقة تجلب التيسير " ، و " الحرج مدفوع شرعاً " [1] ، و " الحرج مدفوع في الدين " [2] . وإذا أمعنا النظر وتأملنا في الآيات والأحاديث التي تقوم عليها هذه القواعد والضوابط ، والتي ورد فيها الترخيص باستعمال المحرمات في حالة الاضطرار حفاظاً على النفس ، وكذلك الترخيص في النطق بكلمة الكفر في حالة الإكراه ، ظهر لنا بجلاء أن جميع هذه الأحكام تتعلق بالحالة الواقعة فعلاً في الزمن الحاضر ، وبما ابتُلي به الإنسان حقيقةً وواقعاً ، لا بمجرد الظن والوهم ، ولا بما قد يقع في المستقبل .

أما القضية المبحوث فيها ، وهي " التأمين الصحي " ؛ فالمعلوم أنه يكون إلى أجلٍ معلومٍ معيّنٍ ، فإن الأمراض المعيَّنة ، أو الأمراض على وجه العموم ، التي يُؤمَّن لأجل تكاليف علاجها ، ليست موجودة بالفعل وقت إجراء عقد التأمين ، وإنما هي أمور موهومة محتملة ؛ فقد يُصاب حامل الوثيقة بتلك الأمراض ، وقد لا يُصاب بها ، فكانت النتيجة مجهولةً غير معلومة ، ومن الواضح أنه لا يسع لمجرد أمرٍ موهوم أو مجهولٍ ، تجاوزُ المحرمات الشرعية ، كالرِّبا والقمار والغَرر والشرط الفاسد ، ثم الحكم بجواز التأمين الصحي ؛ فهذا أمرٌ جديرٌ بدقة التأمل والنظر .

(٤) وأما المصالح والضرورات التي يُستدل بها على الجواز ، ولا سيما ما يُذكر من غلاء تكاليف العلاج ، فينبغي أن يُعلم أن غلاء الشيئ ورخصه أمرٌ إضافيٌّ وشيئ موقت ، يختلف باختلاف الأزمنة والأحوال والأفراد والأشخاص ، ويطرأ عليه التغيّر والارتفاع والانخفاض من وقت إلى آخر ؛ فكيف يمكن أن يكون الأمرالموقتٍ سبباً للترخيص والإباحة الشرعية في ارتكاب أمور ثابت تحريمها شرعاً ؟ ثم إن العلاج قد يتيسر مجّاناً في بعض الأحيان ، وقد يوجد من أصحاب المخيّر وأصحاب البر والتقوى والإحسان من يتحمل جميع نفقات علاج المريض ، كما أنه كثيراً ما يُجمع التبرع للمريض في القرى والأرياف بهذه المناسبة ، بل وفي أحياء المدن أيضاً ، وتتمّ بذلك نفقات علاجه . ومعلوم أيضاً أن الحكومة توفر العلاج مجّاناً في إطار بعض البرامج والمشاريع ، كما أن هناك مستشفيات ومراكز علاجية أنشأتها الحكومة بصورة دائمة لعلاج بعض

---

[1] بدائع الصنائع : ٢٤٦/١ ، البناية شرح الهداية : ٢٣٠/١٢ .

[2] شرح التلويح على التوضيح للتفتازاني : ١٣/٢ .

الأمراض مجّاناً . وقد أعلنت شركة (B.S.N.L) توفير خدمات طبية مجّانية لعملائها دون أخذ أي قسط تأميني منهم .

وتوجد في كل منطقة أو مديرية مستشفيات ومستوصفات حكومية ، كما أن بعض المستشفيات الخاصة تقدم العلاج المجّاني على نحوٍ يماثل المستشفيات الحكومية ، وبعضها مؤسسات تشبه المستشفياتِ الحكومية . وفي هذا العصر توجد مستشفيات ومراكز طبية إسلامية كثيرة تحسن إلى المرضى المستحقين والمحتاجين ، وتعاملهم بالرفق والتيسير ، وتمنحُهم تخفيضاً في نفقات العلاج . نعم ، لا شك أن هناك بعض المستشفيات الخاصة التي تستغل المرضى استغلالاً شديداً وتبالغ في أخذ الأموال منهم ؛ ولكن بمُجرّدِ النظر إلى هذه الحالات لا يناسب أن يُفتى بجواز التأمين الصحي مطلقاً ، رغم اشتماله على معاملات محرمة شرعاً ، كالرِّبا والقمار والغرر والشروط الفاسدة .

وبناءً على ما سبق من التفاصيل يتضح أنه لا توجد هناك في الواقع ضرورة شرعية حقيقية تقتضي الحكم بجواز التأمين الصحي ، ومن المعلوم أن المحظور شرعاً إنما يُباح عند تحقق الضرورة الشرعية الحقيقية ، لا بمجرد الضرورة المتوهَّمة أو الاحتمالية أوالمصطنعة .

(٥) والأمر المهمُّ أنَّ أخذَ الرِّبا وإعطاءَه كلاهما محرَّم ، غير أنَّ الفقهاء أجازوا للمحتاج الاسْتِقْرَاضَ الربويَّ عند شدَّة الحاجة ، كما جاء في " الأشباه والنظائر " لابن نجيم المصري : " يَجُوزُ لِلْمُحْتَاجِ الاسْتِقْرَاضُ بِالرِّبْحِ " [١] . وبعبارة أخرى : يجوز عند الضرورة والحاجة الشديدة الاقتراض بالربا ودفعُ الزيادة الربوية ، ولكن أخذَ الربا وأكلَه لا يجوز بحال ، كما أنَّ دفع الرشوة عند الضرورة يجوز ، ولكن أخذَها لا يجوز بحال ؛ فقد جاء في " البحر الرائق " :

" إذَا دَفَعَ الرِّشْوَةَ خَوْفاً عَلَى نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ فَهُوَ حَرَامٌ عَلَى الآخِذِ غَيْرُ حَرَامٍ عَلَى الدَّافِعِ ، وَكَذَا إذَا طَمِعَ فِي مَالِهِ فَرَشَاهُ بِبَعْضِ الْمَالِ ، وَمِنْهَا إذَا دَفَعَ الرِّشْوَةَ لِيُسَوِّيَ أَمْرَهُ عِنْدَ السُّلْطَانِ حَلَّ لَهُ الدَّفْعُ وَلا يَحِلُّ لِلآخِذِ أَنْ يَأْخُذَ " [٢] .

وفي القضية المبحوث فيها أنَّ المبلغ الذي يدفعه الشخص المشترك في التأمين الصحي ، قد يُدفع له عند ما يصيبه المرض مبلغٌ زائدٌ على ما

---

[١] الأشباه والنظائر : ٩٣/١ .

[٢] البحر الرائق : ٤٤١/٣ .

دفعه لأجل العلاج ، أو يُتعاقد له على علاج تزيد نفقته على المبالغ التي دفعها ، والظاهر أنَّ المبالغ التي دفعها المشترك إلى شركة التأمين الصحي تكون في حكم القرض ، ويُشترط في مقابل هذا القرض أن يُدفع له مبلغ زائد ، أو أن يُوفَّر له علاجٌ تزيد نفقته على ما دفعه ، وهذه الزيادة المشروطة تُعَدُّ من منظور الشرع الإسلامي من ربا الفضل ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القرض الذي يجرُّ نفعاً ، فلفظ الحديث : " نهى عن قرض جرّ منفعة " ، وقد ذكر إمام الحرمين أنَّ هذا الحديث صحيح [1] . وعن علي رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ مَنْفَعَةً فَهُوَ رِباً " ، أي : كلُّ قرض يحصل بسببه نفع فهو ربا . وهذا الحديث وإن كان ضعيفاً من حيث السند ، إلا أنَّ معناه صحيح ؛ لأنَّ أحاديث وآثاراً بهذا المعنى قد رويت عن عدد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، منهم عبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وعبد الله بن سلام رضي الله عنهم [2] . وقال الفقهاء : " كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ نَفْعاً حَرَامٌ أَيْ إِذَا كَانَ مَشْرُوطاً " [3] .

وقد ثبت وتحقق أن دفع مبلغ زائد لأجل العلاج من الربا ، وأخذ الربا لا يجوز حتى في حالة الضرورة والحاجة ، نعم ، إذا بلغ مرضُ شخص في الواقع إلى حد بحيث يخشى عليه الهلاك أو يقاربه إن لم يستعمل شيئاً محرَّماً شرعاً وليس عنده حلال ، فإنَّ استعمال ذلك المحرَّم يباح له في تلك الحالة ؛ لأنَّ المحرَّم قد يصير مباحاً عند تحقق الضرورة ، كما جاء في " غمز عيون البصائر " للحموي : " فَالضَّرُورَةُ بُلُوغُهُ حَدّاً إِنْ لَمْ يَتَنَاوَلْ الْمَمْنُوعَ هَلَكَ أَوْ قَارَبَهُ ، وَهَذَا يُبِيحُ تَنَاوُلَ الْحَرَامِ " [4] .

وعلى هذا : إن كان رجل اشترك في التأمين الصحي ، ثم مرض خلال المدة المحددة عند التعاقد ، وبدأ علاجه وتداويه ، فحاله كما تقدم ، فيباح له المبلغُ الزائدُ الحاصل من شركة التأمين الصحي على ما دفعه لأجل العلاج .

---

[1] التلخيص الحبير : ٨٠/٣ ، ١٨٢٤/٤ ، رقم : ١٥٦٣١ .

[2] انظر : بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث : ٥٠٠/١ ، رقم : ٤٣٧ ، والسنن الكبرى للبيهقي : ٥/ ٣٤٩ – ٣٥٠ ، والمطالب العالية بزوائد المسانيد : ٣٦٢/٧ ، رقم : ١٤٤٠ ، ونصب الراية : ٦٠/٤ ، كتاب الحوال .

[3] الدر المختار ورد المحتار : ٣٩٥/٧ ، مطلب : كل قرض جر نفعاً حرام ، باب المرابحة والتولية .

[4] غمز عيون البصائر : ٢٧٧/١ .

ومن الواضح أنَّ هذه الحالة تكون فرديةً شخصيةً استثنائيةً ، لا يصح الاستدلال بها على الجواز المطلق للتأمين الصحي على وجه العموم . فإذا كانت لشخص حالةٌ خاصة ، فعليه أن يرجع إلى عالمٍ أو مفتٍ متديّن متورّع ، ويبيّن له ظروفه وأحواله الخاصة ليستفتيه فيها ؛ لأنَّ البحث والنقاش في القرارات والتوصيات الفقهية لا يتناول الحالات الفردية الخاصة عامّةً ، وإنما يقتصر البحث في الأحوال العمومية ، وعلى أساسها تصدر القرارات والتوصيات الفقهية .

(٦) وليُعلم أن القول بجواز التأمين الصحي على الإطلاق يأتي بمفاسد كبيرة ، ويترتب عليه عواقب وخيمة ؛ ومن جملتها ما يأتي :

ألف : إذا صدرت من أهل العلم فتاوى وقرارات بجواز التأمين الصحي على الإطلاق ، فإن التصور القائم في أذهان الناس عن حرمة الربا وشناعته سيتغير ويذهب ، ولن تبقى في نفوسهم فظاعة الربا وبشاعته بالدرجة التي كانت عليها إلى الآن ، وينبغي أن تدوم راسخة في أذهانهم في المستقبل أيضاً ، كما هو مقتضى حكمة تحريم الربا .

ب : ومن المعلوم أنه إذا صدر من جانب أهل العلم وأصحاب الإفتاء مرةً فتوى بجواز إجراء التأمين الصحي والاشتراك فيه مطلقاً ، فإن القادر وغير القادر ، والموسر والمعسر ، سيتخذون ذلك مستنداً للجواز بدون خوف ولومة لائم ، فينتفع بذلك الأغنياء وأصحاب اليسار أكثر ، ويكون عنده مستند يُبرّر لهم ذلك ، ويُتوصَّل بها إلى الانتفاع بالمحرمات الشرعية على غير وجهها الشرعي ، فيؤدي ذلك إلى انتهاك حرمات الشرع والتهاون بالمحرمات .

ج : إن الأحوال الفردية والشخصية للإنسان لا تبقى على حال واحدة ولا تسير على مسار واحد على الدوام ، والمفتي ينظر عند اشتراك الشخص في التأمين الصحي إلى حالته الخاصة ، فيأذن له في إجرائه بناءً على ما تقتضيه تلك الحالة ، فيقوم بالتأمين ، فيمكن أن تكون حالته المالية الاقتصادية حسنةً عند ما أصابه المرض وأصبح من ذوي القدرة واليسار ؛ فلا يحل له الانتفاع بالمال الزائد الذي يحصل عليه بسبب التأمين شرعاً ، لأنه من الربا . وإن أُجيز التأمين الصحي على الإطلاق ، فإنه يستعمل المبلغ الزائد الحاصل من شركة التأمين الصحي لتغطية نفقات العلاج ويستفيده منه عند حصوله ، مع أن هذا المقدار الزائد ربا في الحقيقة لا يحل له الانتفاع به .

د : ثم المستزاد عليه أن هناك عديداً من البرامج الحكومية

الرسمية للعلاج والرعاية الطبية للناس أجمعين بدون أي تمييز ، وهم يستفيدون منها . وكذلك يمكن إنشاء نظام بديل غير ربوي للتأمين الصحي المروَّج السائد في الوقت الحاضر وفق التعاليم الإسلامية .

وخلاصة القول : إن الصورة الرائجة للتأمين الصحي في الوقت الحاضر غير جائزة شرعاً باعتبار النتيجة والعاقبة ؛ لأنها مشتملة على معاملات محرَّمة شرعاً ، كالربا والقمار والغرر والشرط الفاسد ؛ فلا يجوز التأمين الصحي في الأحوال العامة العادية ، سواء كان حكوميّاً رسميّاً أو غير حكومي رسمي ، كذلك لا يجوز إجراء التأمين الصحي ولا الانتفاع به للأشخاص الذين يستطيعون أن يتحملوا جميع نفقات العلاج وتكاليف التداوي ، غير أنه يُستثنى من ذلك ما يأتي :

(١) إذا كان إجراء التأمين الصحي لازماً بسبب إلزام قانوني حكومي ، وكذلك إذا كان التأمين الصحي لازماً للموظفين من قبل الشركة ، أو كان التأمين الصحي جزءاً لازماً من عقد العمل ، ولم يكن لذلك الشخص مصدر آخر للكسب الحلال ما سواه ، ولا يمكنه الحصول على موظف آخر ؛ فيسع له إجراء التأمين الصحي " الْحَاجَةُ تَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الضَّرُورَةِ ، عَامَّةً كَانَتْ أَوْ خَاصَّةً " [1] في إباحة المحظور " [2] ؛ ولكن إذا أنفق في علاجه مبلغاً يزيد على ما دفعه من الأقساط ، وهو مستطيع ، وجب عليه أن يتصدق بمقدار ذلك الزائد من غير نية الثواب ؛ لأنه لا يحل له ، لكونه من الربا ، والربا لا يحل لغير المحتاجين .

(٢) وأما الشخص الذي أصابه مرض يمكن أن يؤدي ذلك المرض بحسب الأسباب والعادة إلى مرض خطير يحتاج إلى علاج باهظ التكاليف ، كمرض السكري وارتفاع ضغط الدم ونحوهما ، وكانت حالته المالية بحيث لا يستطيع تحمل نفقات علاجه وتكاليف العلاج الباهظة إلا بالاستدانة والاستقراض ، فساغ له إجراء التأمين الصحي لدى شركة حكومية أو غير حكومية . غير أنه إذا أنفق في العلاج مبلغاً يزيد على ما دفعه من الأقساط ، وهو من أهل القدرة واليسار عند العلاج والتداوي ، وجب عليه أن يتصدق بمقدار ذلك الزائد من غير نية الثواب ؛ لأنه لا يحل له ؛ لكونه من الربا .

(للبحث صلة)

---

[1] الأشباه والنظائر لابن نجيم ، ص ٩٣ ، ط : مكة المكرمة .

[2] القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة للدكتور محمد مصطفى الزحيلي : ٢٨٨/١ ، ط : دار الفكر – دمشق ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

المآخذ غير المعترف بها في تفسير القرآن الكريم

بقلم : الشيخ المفتي محمد تقي العثماني

تعريب : الأستاذ عبد الله عبيد اللهي *

أشرنا في السابق إلى المآخذ المعترف بها في تفسير القرآن الكريم ، ونرى أيضاً من الضروري أن نشير هنا إلى المآخذ غير المعترف بها التي يتخذها بعضهم منهجاً له في التفسير ، فيخطئون ، بل يقعون في الضلال أحياناً .

(١) الإسرائيليات :

تطلق الإسرائيليات أو الروايات الإسرائيلية على الروايات التي وصلتنا من أهل الكتاب اليهود والنّصارى ، وهي روايات نقل بعضها من الكتاب المقدس أو التلمود من غير واسطة ، وبعضهم نقل من المشنا وشروحه ، وبعضهم هي الروايات الشفوية التي نقلها أهل الكتاب جيلاً عن جيل ، وكانت مشهورة بين اليهود والنصارى العرب ، وذكر عدد كبير من هذه الروايات في كتب التفاسير .

كتب ابن كثير – وهو المفسّر والمحقق الشهير – : " إن الإسرائيليات على ثلاثة أنواع . . . " ، وذكر حكم كل نوع منها ؛ فقال : " أحدها : ما علمنا صحّته ممّا بأيدينا مما يشهد له بالصدق ؛ فذاك صحيح " ؛ كغرق فرعون ، وتحدي موسى عليه الصلاة والسلام للسحرة ، وذهابه إلى جبل الطور ، فهذا النوع من الروايات مقبول ؛ لأنّ القرآن الكريم أو الأحاديث الصحيحة تؤيدها .

" والثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه " ، ومن هذا النوع : القصة التي تحكي أن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام قد ابتلي بعبادة الأصنام في آخر العمرٍ [١] ! فبطلان هذه الرواية قطعي ؛ لأن القرآن الكريم أنكرها صراحة ، وهذا الذي ينسب إلى داود عليه الصلاة والسلام من قصة باطلة بأنه عشق زوجة قائد جنده أوريا [٢] .

الثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل

---

* الأستاذ بدارالعلوم زاهدان .

[١] بايبل ، كتاب سلاطين أول (٢/١١ – ١٣) .

[٢] بايبل ، صموئيل (١٣ – ١٤) .

كأحكام التوراة وغيرها من هذا النوع من الإسرائيليات ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تصدّقوها ولا تكذبوها ، وتجوز حكايته – لما تقدم – ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه عاد إلى أمر ديني ، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيراً ، ويأتي عن المفسّرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون في مثل هذا : أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعدّتهم ، وعصا موسى من أيّ الشجر كانت ؟ ، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم ، وتعيين (بعضها) الذي ضرب به القتيل من البقرة ، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى . . . إلى غير ذلك مما أجمله الله تعالى في القرآن ، مما لا فائدة في تعيينها تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم . ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز .

ثم يضيف العلامة ابن كثير [1] : أنَّ هذه الآية الكريمة شملت ما ينبغي في مثل هذه الحال ، فقد قال الله تعالى : (سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَآءً ظَاهِراً وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَداً) [الكهف : ٢٢] .

ذكر الله تعالى في هذه الآية الأقوال المختلفة لأهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف ، وأشار بجانب ذلك إلى الأمور التالية :

(١) صحّة بيان الروايات الإسرائيلية واختلافهم ، كما أن الله تعالى بيّن ذلك في كتابه .

(٢) يجب التنبيه إلى الرواية الباطلة من بين تلك الروايات ، كما أن الله تبارك وتعالى أبطل القولين الأولين من أقوالهم الثلاثة ، بقوله : (رَجْماً بِالْغَيْبِ) .

(٣) ينبغي السّكوت عن الرواية التي لا يوجد دليل على بطلانها ، كما أنّ الله تعالى سكت عن القول الثالث .

(٤) يجب الإيمان بأن العلم الحقيقي في صحة هذه الروايات وبطلانها عند الله تبارك وتعالى .

(٥) يجب تجنب إطالة النزاع والخلاف حول مثل هذه الروايات .

(٦) وأن لا يجهد نفسه في البحث والتحقيق في مثلها ، فإنه لا

---

[1] ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ، (١٤١٩ ق.) تفسير القرآن العظيم ، تعليق محمد حسين شمس الدين ، بيروت : دار الكتب العلمية : ١٠/١ و ١٠١ .

طائل تحتها ، ولا تترتب عليها ثمرة ولا فائدة في الدنيا ولا في الآخرة .

ثمّ صرّح عن بعض الروايات بأنها إسرائيلية ، ولا يوجد هذا التصريح في بعضها ، لكن الدلائل الأخرى تشير إلى أنها من ضمن الإسرائيليات ، وتعدّ مرويات كعب الأحبار ، ووهب بن منبّه في كتب التفسير من هذا القبيل ، لذلك من الضروري الإشارة إلى مختصر من ترجمة حياتهما :

من هو كعب الأحبار؟

اسمه الكامل : كعب بن ماتع الحميري ، أصله من اليمن ، وكان من العلماء البارزين في اليهود ، لقد أدرك الجاهلية والإسلام ، لكنه لم يتشرف بالإسلام في حياة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، قدم إلى المدينة المنوّرة سنة ١٢ من الهجرة في عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، واعتنق الإسلام .

ورد في طبقات ابن سعد عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال العباس لكعب : ما منعك أن تسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر حتى أسلمت الآن على عهد عمر ؟ فقال كعب : إنّ أبي كتب لي كتاباً من التوراة ودفعه إليّ ، وقال : اعمل بهذا ، وختم على سائر كتبه ، وأخذ علي بحقّ الوالد على ولده أن لا أفضّ الخاتم ، فلما كان الآن ورأيت الإسلام يظهر ، ولم أر بأساً قالت لي نفسي : لعل أباك غيّب عنك علماً كتمك فلو قرأته ، ففضضت الخاتم فقرأته فوجدت فيه صفة محمد وأمته فجئت الآن مسلماً [1] .

والجمهور على توثيق كعب ، لكن أبدى العلامة محمد زاهد الكوثري رحمه الله الشكوك والشبهات حوله بسبب بعض الروايات ، منها : الحادثة المشهورة التي أراد فيها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يبني المسجد الأقصى ، فاستشار الناس هل يجعله أمام الصخرة أم خلفها ؟ فقال له كعب : يا أمير المؤمنين ! ابنه خلف الصخرة ،

---

[1] قال العلامة الكوثري : في سند هذا الخبر حماد بن سلمة وهو مختلط . وفيه أيضاً : علي ابن زيد بن جدعان ، ضعفه غير واحد . مقالات الكوثري ، القاهرة ، المكتبة التوفيقية : ص ٤٨ ، ولكن حسنه الحافظ في الإصابة (٢٩٨/٣) ، ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ، (١٤١٥ ق.) الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عادل أحمد والآخرون ، بيروت ، دار الكتب العلمية : ج ٤٨٢/٥ .

فقال : يا بن اليهودية خالطتك اليهودية ، بل أبنيه أمام الصخرة حتى لا يستقبلها المصلّون .

ويضيف العلامة زاهد الكوثري رحمه اللّه : وقد استبطن كعب اتهام عمر إيّاه حتى رئي اتصاله بالمتآمرين في اغتياله – رضي اللّه عنه – مع سبق إنذار لعمر بأنه سيُقتَل متظاهراً بالنقل عن كتب أهل الكتاب ! ثم يكتب العلامة الكوثري بعد نقله لكافة هذه الروايات : فتبين من تلك النبذ أن عمر وحذيفة وأبا ذر وابن عباس وعوف بن مالك ومعاوية ما كانوا يأتمنون كعباً ائتماناً كاملاً [1] .

ما ذكره العلامة زاهد الكوثري من شكوك وشبهات حول كعب الأحبار ، وما أخرجه من نتائج من أقوال الكثير من صحابة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قضية يسع فيها الاختلاف [2] ، لكن لا شك في أنّ الكثير من مروياته إسرائيلية ، فإن لم تؤيّد بأدلة خارجية أخرى لا يمكن الائتمان عليها .

وهب بن منبّه :

وهب بن منبّه (المتوفّى سنة ١١٠هـ) هو الشخصية الأخرى التي نقلت عنها روايات إسرائيلية كثيرة ، كان وهب بن منبّه أيضاً مقيماً في صنعاء اليمن ، وكان أصله فارسيّاً ، ولد في خلافة سيدنا عثمان رضي اللّه عنه حسب الروايات ، أسلم والده منبّه في عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، كان وهب بن منبه تابعياً عابداً زاهداً ، وروى عن أبي سعيدالخدري وعبد اللّه بن عمر وسيدنا ابن عباس وجابر رضي اللّه عنهم وغيرهم ، وعنده من علم أهل الكتاب شيئ كثير ، فقد كان يقول عن نفسه : يقولون : عبد اللّه بن سلام أعلم أهل زمانه ، وكعب أعلم أهل زمانه ، أفرأيت من جمع علمهما ؟ ويعني نفسه [3] .

وذكر الإمام ابن سعد اللّه رحمه اللّه : أنّ وهب بن منبّه قد جمع

---

[1] الكوثري ، مقالات الكوثري ، ص ٤٨ – ٤٩ .

[2] ولقد ردّ العالم الدكتور المحقق رمزي نعناعة من مصر على هذه الشبهات والشكوك بأدلة مفصلة ، انظر : كتاب الإسرائيليات وأثرها في التفسير ، ص ١٧٢ – ١٨٣ ، طباعة دار الضياء بيروت ، سنة : ١٩٧٠م .

[3] الذهبي ، أبو عبد اللّه شمس الدين محمد ، (د . ت .) تذكرة الحفاظ ، بيروت : دار الكتب العلمية : ١٠١/١ .

كتاباً شاملاً لتلك الروايات باسم : (أحاديث الأنبياء) [1] ، وذكر المسعوديّ أنه ألف كتاباً باسم : (المبدأ) [2] ، وذكر حاجي خليفة في كشف الظنون هذا الكتاب باسم : (كتاب الإسرائيليات) [3] ، كذلك ذكر ياقوت الحمويّ ، والقاضي ابن خلكان كتاباً آخر لوهب بن منبّه اسمه : (ذكر الملوك المتوّجين من حمير وأخبارهم وغير ذلك) ، وكتب ابن خلكان أنّه رأى هذا الكتاب [4] .

أما عن صدق وهب بن منبه وأمانته : فلم يطعن علماء الجرح والتعديل فيه ، قال الحافظ الذهبي : كان ثقة صادقاً ، كثير النقل من كتب الإسرائيليات .

وقال أبو زرعة والنسائي : ثقة ، وقال العجلي : تابعي ثقة ، وكان على قضاء صنعاء ، لكن ضعّفه الإمام عمرو بن علي الفلاس ، لا لشيئ في عدله وصدقه ، وإنما لأجل أنّ وهب بن منبه كان يميل إلى عقائد الطائفة القدَرية أوّلاً ، وقال الإمام أحمد رحمه الله : وكان يتهم بشيئ من القدَر ثم رجع ، وقال حماد بن سلمة عن أبي سنان قال : سمعت وهب ابن منبه يقول : كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء في كلها : من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر فتركت قولي [5] .

دل ما ذكرناه أنّه لم يتكلم أحد من أئمة الجرح والتعديل في صدقه ولا في أمانته ولا في عدله . لأجل هذا ذكر الإمام البخاري رحمه الله ، وكذلك الإمام مسلم – كلٌّ في صحيحه – رواياتِه ، فالروايات التي ينسبها إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تُقبل إذا كانت أسانيدها صحيحة موافقة لأصول الحديث ، لكن ما يرويه من قصص

---

[1] ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع ، (١٤١٨ ق.) الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، بيروت : دار الكتب العلمية : ٢٥٧/٧ .

[2] المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (د. ت.) مروج الذهب ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت : دار الفكر : ٦٦/١ .

[3] الدوري ، عبد العزيز ، (١٤٢٠ ق.) نشأة علم التاريخ عند العرب ، أبو ظبي : مركز زايد للتراث والتاريخ : ص ١١٩ .

[4] الحموي ، ياقوت بن عبد الله (١٤٢٤ ق.) معجم الأدباء ، بيروت : دار الكتب العلمية : ٤٥١/٦ ، ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، (د. ت.) وفيات الأعيان ، تحقيق : إحسان عباس، بيروت : دار صادر : ٣٥/٦ .

[5] ابن حجر ، أحمد بن علي ، (١٤٢٥ ق.) تهذيب التهذيب ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، بيروت : دار الكتب العلمية : ٧٦٣/٦ و ٧٦٤ .

عن الماضي ، أو أخبار المستقبل ، فأكثرها روايات إسرائيلية ، والحكم فيها أن لا نصدقها ولا نكذبها ، وقد ضعّفه السيّد رشيد رضا بسبب هذه الروايات الإسرائيليةٍ الغريبة ، والحقيقة : أن بيان الروايات الإسرائيلية فقط ليس جريمة ، ولا شك في أنّ تلك الروايات لا تترتّب عليها عقيدة إسلامية ولا حكم شرعي [1] .

عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما :

كعب الأحبار ووهب بن منبّه كانا من التابعين ، وعنهما رويت أكثر الروايات الإسرائيلية ، لكن أكثر من رويت عنه الإسرائيليات من بين الصحابة الكرام ربما هو عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ؛ لأنه تعلم اللغة السريانية [2] ؛ وقد كانت أكثر كتب اليهود والنصارى بهذه اللغة ، وفي غزوة اليرموك أصاب حمل ناقتين من مثل هذه الكتب [3] ، وقد روى سيّدنا عبد الله بن عمرو الكثير من الروايات من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا علاقة لها بالإسرائيليات ، بل هي مثل روايات سائر الصحابة واجبة التسليم والقبول إن صحت أسانيدها ، لكن الروايات التي نقلها بالصراحة من أهل الكتاب ، فهي إسرائيليات لا نصدقها ولا نكذبها ، هكذا أكثر الروايات التي ذكرها كمقولات له يغلب الظن على أنها إسرائيليات ، فلا يحتج بها في العقائد الإسلامية .

اتهم أبو ريّة – وهو من منكري السنّة في مصر – في كتابه (أضواءٌ على السنة المحمدية) ، سيّدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بأنه كان ينسب الإسرائيلياتٍ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن هذه التهمة ليست خاطئةً مائةً في المائة فحسب ، بل أثبت للجميع مدى غياب التزام أبي ريّة بالأمانة العلميّة !

لأنه ذكر في دليله كلام ابن حجر من فتح الباري : أن عبد الله ابن عمرو كان قد أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب ، وكان يرويها للناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فتجنّب الأخذ عنه كثير من أئمة التابعين ، وكان يقال له : لا تحدثنا عن الزاملتين !

---

[1] لقد رفض الدكتور رمزي نعناعة هذه النظرية للسيد رشيد رضا في كتابه العلمي : الإسرائيليات وأثرها في التفسير ، ص ١٨٨ .

[2] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٤٣/٧ .

[3] ابن حجر ، أحمد بن علي ، (١٤٢١ ق.) فتح الباري ، الرياض : دار السلام : ٢٧٤/١ .

العبارة التي تحتها خط ليست في فتح الباري لابن حجر ! وإنما أضافها أبو ريّة من عنده ، ونسبه إلى الحافظ ابن حجر رحمه الله ! ومن خلال هذا يمكن لكم أن تقدروا مدى الأمانة العلمية لبعض المؤلفين المتأثرين بالغرب ، ومنكري الحديث ، ومدى ديانتهم [1] !

(٢) تفاسير الصوفية :

تنقل عن المتصوّفة أقوال في ذيل بعض الآيات ، يبدو في الظاهر أنّها تفاسيرها ، لكنها مخالفة للمعنى الظاهر والمأثور للآية ؛ فمثلاً : قول الله تعالى : (قَاتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ ٱلْكُفَّارِ) [التوبة : ١٢٣] ، قال بعض الصوفية تحتها : قاتلوا النفس ، فإنها تلي الإنسان .

بعضهم يحسب مثل هذه العبارات تفاسير للقرآن الكريم ، مع أنها ليست تفاسير في الحقيقة ، وليس مقصود الصوفية : بأنها المراد الأصلي من القرآن الكريم ! وما يفهم من ظاهر اللفظ ليس مراداً ، بل إنهم يؤمنون إيماناً كاملاً بالمعنى الظاهري الذي يثبت من المآخذ الأصلية ، ويعترفون بأنه هو تفسير القرآن الكريم ، لكن يذكرون بجانب ذلك الإشارات التي ترد على قلوبهم في أثناء تلاوة تلك الآيات ، ففي الآيات المذكورة لا يقصد الصوفية أنها ليست في الجهاد أو القتال ، بل يرون أن القتال والجهاد هو الحكم الأصلي في هذه الآية ، لكن في أثناء تلاوة هذه الآية يجب أن يفكر كلّ إنسان بأن أكبر عدو وأقربه إليه هو نفسه التي تدفعه نحو السيئات ، فيجب الجهاد ضدها بالإضافة لجهاده ضد الكفار .

أشار المفسر المشهور العلامة محمود الآلوسي – الذي يوجد في تفسيره هذا النوع من أقوال الصوفية بكثرة – إلى هذه التفاسير قائلاً :

وأمّا كلام السّادة الصوفية في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ، وذلك من كمال الإيمان ، ومحض العرفان ، لا أنهم اعتقدوا أنّ الظاهر غير مراد أصلاً ، وإنما المراد الباطن فقط إذ ذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة ! وقد توصلوا به إلى نفي الشريعة بالكلية ! وحاشى سادتنا من ذلك ، كيف وقد حضّوا على حفظ التفسير الظاهر وقالوا : لا بد منه أوّلاً إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر [2] .

---

[1] للمزيد من الردود على أبي ريّة ، انظر : كتاب : السنة قبل التدوين ، لعجاج الخطيب ، وكتاب : الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ، ص ١٥٨ ، لرمزي نعناعة .

[2] روح المعاني : (٧/١) ، المقدمة ، الفائدة الثانية ، وبمثل هذا نقل العلامة السيوطي رحمه

لكن تجب مراعاة الأمور التالية حول إشارات الصوفية :

(١) لا ينبغي جعلها تفاسير للقرآن الكريم ، بل يجب الاعتقاد بأن المراد الأصلي للقرآن الكريم ما يفهم من المآخذ الأصلية للتفسير ، وهذه الإشارات دقائق تتكشف على أرباب السلوك فحسب ؛ لأن الاعتقاد بأنها تفاسير للقرآن الكريم ضلال ، وقد قال الإمام أبو الحسن الواحدي المفسّر عن كتاب اسمه (حقائق التفسير) يشمل مثل هذه الإشارات صنفه الإمام أبو عبد الرحمن السلمي : فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر [١] .

(٢) لا ينبغي الاعتقاد بصحة تلك الإشارات إلا بالتي ليس فيها نفي للمعنى الظاهري لآية من القرآن الكريم ، أو نفي لأصول مسلمة من الشريعة ، فإن كان فيها نفي للأصول الشرعية المسلمة للدين ، فذلك إلحاد صريح .

(٣) لا تعد هذه الإشارات ما لم تصل إلى حدّ تحريف القرآن الكريم ، فلو جرى تغيير ألفاظ القرآن ليستنبط منها معنى ؛ فذلك المعنى أيضاً إلحاد وضلال ، فمثلاً : قال أحدهم في معنى قول اللّه تعالى : (مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ) [البقرة : ٢٥٥] : إنَّ أصله : من ذلّ ذي يشفع . والمراد من ذي هو : النفس ، والمعنى أن الشخص الذي أذل نفسه يجد الشفاء !

سئل شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني عن رجل قال في قوله تعالى : (مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) ، إن معناه : من ذل أي : من الذل ، ذي : إشارة إلى النفس ، يشف : من الشفا – جواب " من " – ، ع : أمر من الوعي ! فأفتى بأنه ملحد [٢] .

(٤) لقد مضت في الملاحدة طائفة الباطنيّة ، كانت ترى : أن ما يفهم من ظاهر الآيات ليس مراد اللّه تعالى ، بل كل لفظ يشير إلى معنى باطني ، وهو الأصل في تفسير القرآن الكريم ، هذه العقيدة كفر وإلحاد بإجماع الأمة ، فهذا النّوع من الاعتقاد بقول من الإشارات الصوفية في القرآن عقيدة باطنية . لا بأس بمطالعة إشارات الصوفية وأقوالهم مع مراعاة هذه الأمور الأربعة .

اللّه من الشيخ تاج الدين بن عطاء اللّه ، الإتقان : (١٨٥/٢) .

[١] المصدر نفسه ، ص ٨٧١ .

[٢] المصدر نفسه ، ص ٨٧٢ .

ولا شك أن الكثير من أهل الذوق والإشارات والعرفان استفادوا من أقوالهم ؛ ولذلك ذكر العلامة الآلوسي – بعد بيان التفسير الكامل للآيات – باباً مستقلاً : باب الإشارة في الآيات ، ويذكر فيها هذا النوع من الإشارات والدقائق الصوفية .

تدلّ خلاصة التوضيحات السابقة : على أنّ ما ذكرته الصوفية من دقائق وإشارات في تفسير آيات القرآن الكريم ، ليس مخالفاً للقرآن الكريم والسنة النبوية ، وما اتهمهم بعضهم بالباطنية لا يصحّ ، لكن رغم ذلك لا بدّ لنا من الإشارة إلى مقولة الحافظ ابن الصلاح رحمه اللّه إذ قال : ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإيهام والإلباس [1] .

(٣) التفسير بالرأي :

ورد في الحديث النّبوي الشريف : " من تكلّم في القرآن برأيه ، فأصاب فقد أخطأ " ، وقال الماورديّ : قد حمل بعض المتورّعة هذا الحديث على ظاهره ، وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده ولو صحبتها الشواهد ، ولم يعارض شواهدها نصّ صريح ، وهذا عدول عما تعبّدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام كما قال تعالى : (لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) [النساء : ٨٣] ، ولو صح ما ذهب إليه لم يُعلم شيئ إلا بالاستنباط ولما فهم الأكثرون من كتاب اللّه شيئاً [2] !

اتفقت كلمة جمهور العلماء نظراً إلى آيات القرآن الكريم والدلائل الأخرى من السنة النبوية الكريمة على أن الحديث المذكور لا يمنع استعمال العقل والرأي والتدبّر في بيان معاني القرآن الكريم ، بل معناه أن يهمل المرء الأصول المتفقة الإجماعية المسلمة للقرآن الكريم ويفسره بمجرد رأيه ، فيكون هذا النوع من التفسير باطلاً ، ولو أصاب في مثل هذا التفسير فهو مخطئ ؛ لأنه سلك طريقاً غير صحيح ، وهناك صور مختلفة لإهمال أصول التفسير :

(١) أن لا تكون لديه أهلية في تفسير كتاب اللّه تعالى ، فيفسّره برأيه فقط .

(٢) أن يثبت هناك تفسيرٌ مصرّح به منقول من الصحابة والتابعين فيهمله ، ويفسّر القرآن الكريم برأيه .

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٨٧١ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٨٦٢ – ٨٦٣ .

(٣) أن يهمل أصول اللّغة والأدب في آيات لم تنقل فيها تفاسير عن الصحابة والتابعين ، فيبيّنها ويفسّرها بمجرد رأيه .

(٤) أن لا تكون لديه أهلية الاجتهاد من القرآن والسنّة ، ثم يبدأ في الاجتهاد .

(٥) أن يبيّن بجزم ويقين تفسيراً للآيات المتشابهات – التي صرّح القرآن بأن لا أحد يعلم تأويلها إلا اللّه – ويكون مصرّاً على رأيه .

(٦) أن يفسر القرآن الكريم تفسيراً يطعن في العقائد المتفقة أو الأحكام المسلّمة .

(٧) أن يرجح رأيه الشخصي من غير دليل قطعيّ في المواضع التي يجوز استعمال العقل والفكر في تفسير كلام اللّه تعالى ، ويخطّئ آراء سائر المجتهدين بجزم ويقين .

هذه الصور كلّها تدخل في التفسير بالرأي الذي منعه الحديث المذكور ، وقد ورد في حديث آخر : " من قال في القرآن بغير علم فليبتوّأ مقعده من النار " [١] .

لكن لا يشمل وعيد هذا الحديث من أبدى رأياً لا يخالف القرآن والسنة في تفسيره لكتاب اللّه تعالى مع التزامه بالأصول المسلمة والثوابت المتفق عليها في الإسلام ، ثمّ هذا النوع من إبداء الرأي لا يقدر عليه إلا من لديه تمكّن واسع في علوم القرآن والسنة ، ومهارة في العلوم الإسلامية ، ولقد وضع العلماء أصولاً مهمّة له ، ذُكِرت تفاصيلها في أصول الفقه والتفسير ، وقد ذكر بدر الدين الزركشي خلاصة مفيدة منها في كتابه : (البرهان في علوم القرآن) [٢] ، لا سيّما في النوع الواحد والأربعين تحت عنوان أقسام التفسير ، وهو بحث مهم ومفيد جدّاً ، من شاء الاستفادة فليراجعه .

---

[١] الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة ، (١٤٣٠ ق.) سنن الترمذي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، دمشق : دار الرسالة العالمية : ٢١١/٥ ، الحديث : ٢٩٥٠ ، والنسائي ، أحمد بن شعيب بن علي ، (١٤١٣ ق.) فضائل القرآن ، تحقيق : فاروق حماده ، بيروت : دار الثقافة : ص ١٣٤ ، الحديث : ١٠٩ ، وأحمد بن حنبل ، (١٤٢١ ق.) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، بيروت : مؤسسة الرسالة : ٢٥٠/٤ ، الحديث : ٢٤٢٩ .

[٢] الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ، (١٤١٠ ق.) البرهان في علوم القرآن ، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي والآخرون ، بيروت : دار المعرفة : ٣٠٢/٢ ، ٣١٢ .

كلمة " الأدب " في اللغة العربية : دراسة تاريخية

د . محمد إدريس الندوي *

كلمة " أدب " في المعاجم العربية :

قد تناولت مجموعة من أمهات المعاجم العربية مادة " أدب "، من أبرزها : العين للخليل بن أحمد ، وجمهرة اللغة لابن دريد ، وتهذيب اللغة للأزهري ، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ، ولسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي .

وتجمع هذه المعاجم على أن من أقدم معاني كلمة " الأدب " معنى الدعوة إلى الطعام . فقد أورد الأزهري في تهذيب اللغة أن الأدب الذي يتأدب به الإنسان سُمّي أدباً لأنه يدعو إلى مكارم الأخلاق وينهى عن المساوئ ، كما ذكر أن " الآدب " هو الداعي إلى الطعام ، وأن " المأدبة " هي الطعام الذي يُصنع ويُدعى الناس إليه [1] .

كما ورد في لسان العرب أن الأدب هو ما يتأدب به الإنسان من الخصال الحميدة ، وأن أصل الكلمة يرجع إلى معنى الدعوة ؛ ومن ذلك تسمية الطعام الذي يُدعى إليه الناس " مأدبة " . وينقل ابن منظور عن أبي زيد أن " الأدب " مصدر قولهم : " أدب القومَ يأدبهم أدباً " إذا دعاهم إلى طعامه ، وأن " الآدب " هو الداعي إلى الطعام [2] . وقد تكرر هذا المعنى في عدد من كتب اللغة التي نقلت عن أئمة العربية ، مما يدل على رسوخه في الاستعمال العربي القديم .

ويتضح من ذلك أن كلمة " الأدب " لم تكن في بداياتها تدل على الشعر أو الكتابة أو الثقافة بمفهومها الاصطلاحي المتداول اليوم ، وإنما ارتبطت في أصل دلالتها بممارسة اجتماعية تتمثل في الدعوة إلى الطعام وإكرام الضيف . وتؤكد الشواهد اللغوية والأدبية القديمة هذا المعنى ، كما حفظ الشعر الجاهلي نماذج تدل على هذا الاستعمال ، الأمر الذي

---

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية ، جامعة لكناؤ .

[1] أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تهذيب اللغة ، تحقيق محمد عوض مرعب ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، ج ١٤ ، مادة " أدب " ، ص ١٤٧ .

[2] محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت : دار صادر ، ط ٣ ، ١٤١٤هـ ، ج ١ ، مادة " أدب " ، ص ٧٠ .

يبرز الصلة الوثيقة بين الدلالة الأولى للكلمة وبين الحياة الاجتماعية في البيئة العربية القديمة وهو قول طرفة بن العبد :

نحنُ في المَشْتاةِ نَدْعو الجفْلَى لا تَرى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

فالآدب هنا هو الداعي إلى الطعام ، و " الجفلى " الدعوة العامة التي لا يخص بها صاحبها بعض الناس دون بعض . وقد استشهد بهذا البيت اللغويون في شرح مادة " أدب " ، فأصبح من أشهر الشواهد الشعرية على هذا المعنى القديم [1] ، ويكشف هذا الاستعمال عن جانب مهم من الحياة الاجتماعية العربية القديمة ؛ إذ كان إطعام الطعام وإكرام الضيف من مظاهر الكرم التي اشتهر بها العرب ، ومن ثم فإن الدلالة القديمة للكلمة ، وإن كانت متصلة بالطعام ، لم تكن بعيدة عن قيمة اجتماعية محمودة هي الكرم وإكرام الضيف .

من الدعوة إلى الطعام إلى التهذيب والتأديب :

لا يمكن النظر إلى انتقال دلالة كلمة " الأدب " من معنى الدعوة إلى الطعام إلى معنى التهذيب والتربية بوصفه انتقالاً فجائياً أو منفصلاً عن أصولها الدلالية ؛ إذ إن التطور الدلالي في اللغة غالباً ما يتم عبر التوسع المجازي والارتباط المعنوي بين الدلالات المختلفة . وقد تنبّه علماء اللغة القدماء إلى وجود صلة بين معنى " الدعوة " الكامن في الأصل اللغوي للكلمة وبين ما آلت إليه من دلالات أخلاقية وتربوية .

وفي هذا السياق ، يذكر الأزهري أن " الأدب " الذي يتأدب به الإنسان سُمّي بذلك لأنه يدعو الناس إلى المحامد ومكارم الأخلاق وينهاهم عن المساوئ والقبائح . ويكتسب هذا التفسير المعجمي أهمية خاصة ؛ لأنه يكشف عن أن المعنى الأخلاقي للأدب لم يكن منقطع الصلة بأصله اللغوي ، بل نشأ نتيجة انتقال مفهوم الدعوة من المجال الاجتماعي إلى مجال التوجيه الخلقي والتربوي ؛ فكما يدعو الآدب الناس إلى الطعام ، يدعو المؤدب الناس إلى الفضائل والسلوك القويم [2] .

وعلى هذا الأساس ، اتسعت دلالة " الأدب " لتشمل تهذيب النفس وتقويم السلوك والتحلي بالصفات الحميدة . وقد تجسد هذا المعنى في

---

[1] طرفة بن العبد ، ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ٣ ، ٢٠٠٢م ، ص ٤٣ . وينظر أيضاً : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة " أدب " .

[2] الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج ١٤ ، ص ١٤٧ .

الاستعمالات العربية الشائعة من نحو قولهم : " أدّبه فأحسن تأديبه " ، أي ربّاه وهذّبه وعلّمه مكارم الأخلاق . كما جاء في لسان العرب : " أدبه فتأدب : علّمه " ، وهو نص يوضح بجلاء انتقال الكلمة من دائرة الدعوة والإرشاد إلى دائرة التعليم والتربية [1] .

ويمثل هذا التحول مرحلة محورية في تاريخ تطور دلالة الكلمة ؛ إذ انتقل مفهوم " الأدب " من كونه ممارسة اجتماعية مرتبطة بالضيافة وإكرام الضيف إلى مفهوم تربوي وأخلاقي يعنى بتكوين شخصية الفرد وتقويم سلوكه .

الأدب في صدر الإسلام :

شهدت البيئة الإسلامية تحولاً عميقاً في منظومة القيم والأخلاق السائدة في المجتمع العربي ، حيث جعل الإسلام الأخلاق ركيزة أساسية من ركائز الدين ، وربط بين كمال الإيمان وحسن السلوك . وقد تجلت هذه الرؤية في العديد من النصوص القرآنية ، من ذلك قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ) [النحل: ٩٠] ، وقوله تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم : (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم : ٤] .

وفي ظل هذه المنظومة القيمة الجديدة ، اكتسبت كلمة " الأدب " دلالةً أوسع وأكثر عمقاً ، فأصبحت تشير إلى التربية الخلقية والتهذيب السلوكي وتكوين الشخصية الإنسانية وفق المبادئ الإسلامية . وقد انعكس ذلك في كتب الوعظ والتربية والأخلاق التي ربطت مفهوم الأدب بحسن السلوك والاستقامة الخلقية .

كما تؤكد النصوص النبوية هذا الاتجاه الدلالي ؛ فقد ورد في بعض كتب التراث القول المشهور : " أدبني ربي فأحسن تأديبي " ، وهذا النص أكثر قوة في الاستدلال على الصلة بين القرآن والأخلاق النبوية ؛ إذ يدل على أن القيم القرآنية ظهرت في سلوك النبي صلى الله عليه وسلم وتعامله مع الناس . ويؤيد هذا المعنى ما ثبت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وصف أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بقولها : " كان خُلُقه القرآن " [2] ، وهو وصف يبرز تجسد القيم القرآنية في سلوكه العملي

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ، مادة " أدب " ، ص ٧٠ .

[2] محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ٧٣ ؛ وينظر

وتعامله مع الناس .

كذلك وردت نصوص نبوية صحيحة تؤكد المكانة المركزية للأخلاق في الإسلام ، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق " ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً " . وتدل هذه النصوص على أن الأخلاق ليست جانباً ثانوياً في التصور الإسلامي ، بل تمثل عنصراً أساسياً في بناء شخصية المسلم وتحقيق كمال إيمانه .

ومن ثم يمكن القول : إن دلالة " الأدب " في صدر الإسلام اتجهت بقوة نحو معاني التهذيب والتربية والتقويم الخلقي ، لتتجاوز حدود معناها الاجتماعي القديم المرتبط بالدعوة إلى الطعام وإكرام الضيف . وهكذا أصبحت الكلمة مرتبطة بتربية الإنسان وتهذيب أخلاقه وبناء شخصيته وفق القيم الإسلامية ، وكان ذلك تحولاً مهمّاً في تطور معناها .

الأدب في العصر الأموي وانتقال دلالته إلى المجال التعليمي :

مثّل العصر الأموي مرحلة جديدة في مسيرة التطور الدلالي لكلمة " الأدب " ، إذ تجاوزت الكلمة إطارها الأخلاقي والتربوي الذي استقر لها في صدر الإسلام ، لتدخل مجال التعليم والتثقيف بصورة أكثر وضوحاً وتنظيماً . وقد ارتبط هذا التحول بالمتغيرات السياسية والاجتماعية التي شهدتها الدولة الإسلامية في تلك المرحلة ؛ ومع اتساع الدولة وتطوّر مؤسساتها ، ظهرت الحاجة إلى تعليم أبناء الخلفاء والأمراء وتربيتهم وإعدادهم لتحمّل مسؤوليات الحكم والقيادة ، ومن هنا ظهرت وظيفة " المؤدّب " التي كانت تهتم بتعليمهم وتربيتهم ، وكانت لها مكانة مهمة .

وتوجد شواهد تاريخية مبكرة تؤكد هذا الاستعمال . فقد ذكر الطبري في أحداث الوليد بن يزيد عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني ، وقال : " وكان مؤدب الوليد " والمراد أنه كان يتولى تعليم الوليد وتأديبه [1] .

وقد نقل ابن عساكر هذا الخبر في ترجمة عبد الصمد بن عبد الأعلى ، ووصفه بأنه : مؤدب الوليد بن يزيد [2] . وهذا شاهد تاريخي

أيضاً: محمد ناصر الدين الألباني ، السلسلة الضعيفة ، رقم الحديث ٧٢ .

[1] مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جامع صلاة الليل .

[2] محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة : دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٦٧م ، ج ٧ ، ص ٢٠٩ .

واضح على استعمال لفظ " المؤدب " في العصر الأموي بمعنى المعلم والمربي .ولم يكن مفهوم " التأديب " في هذا العصر مقتصراً على تعليم القراءة والكتابة ، بل كان أوسع من ذلك ؛ إذ كان يتضمن القرآن واللغة والشعر وأخبار العرب ومكارم الأخلاق وحسن السلوك ، وقد أشار الجاحظ إلى المكانة التي احتلها المؤدبون في تربية أبناء الخاصة والملوك ، مبيناً أن دورهم كان يتجاوز حدود التعليم إلى الإعداد الشامل للإنسان ، وهو ما جعل التأديب عملية تربوية متكاملة تجمع بين المعرفة والخلق والمهارة اللغوية [1] .

وفي ضوء ذلك يتضح أن مفهوم " الأدب " في العصر الأموي أصبح يدل على عملية تربوية متكاملة تهدف إلى تكوين الفرد علمياً وأخلاقياً وثقافياً ؛ فالأدب لم يعد مجرد تهذيب للسلوك ، بل صار مرتبطاً بالتعليم المنظّم وإعداد الإنسان للحياة العامة . ومن هنا يمكن النظر إلى العصر الأموي بوصفه مرحلة انتقالية مهمة في تاريخ المصطلح ، إذ شكّل حلقة وصل بين الدلالة الأخلاقية والتربوية التي اكتسبتها الكلمة في صدر الإسلام ، وبين الدلالة الثقافية والمعرفية الواسعة التي ستبلغ ذروتها في العصر العباسي .

الأدب في العصر العباسي واتساع دلالته إلى الثقافة والمعرفة :

إذا كان العصر الأموي قد وسّع مفهوم الأدب ليشمل التعليم والتربية ، فإن العصر العباسي مثّل المرحلة التي بلغ فيها هذا المفهوم درجة أكبر من النضج والاتساع . ويعود ذلك إلى النهضة العلمية والثقافية الكبيرة التي شهدها المجتمع العباسي ، حيث ازدهرت حركة الترجمة والتأليف ، ونشطت الدراسات اللغوية والأدبية ، واتسعت دائرة المعرفة الإنسانية بصورة غير مسبوقة .

وفي ظل هذا المناخ الحضاري الجديد ، لم يعد الأدب مقصوراً على التربية أو التعليم ، بل أصبح مفهوماً جامعاً للثقافة والمعرفة الواسعة . فالمثقف في العصر العباسي كان مطالباً بالإلمام باللغة والشعر والنثر والتاريخ والأخبار والأمثال والحكم والبلاغة ، وهي جميعاً المعارف التي أصبحت تدخل ضمن مدلول " الأدب " . وبذلك انتقل المصطلح من الدلالة

---

[1] علي بن الحسن ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دمشق : دار الفكر ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، ج ١٥ .

على العملية التربوية إلى الدلالة على الحصيلة الثقافية والمعرفية التي ينبغي أن يتحلى بها الإنسان المتعلم .

وتتجلى هذه الدلالة الجديدة في عدد من المصنفات العباسية المهمة ؛ فكتاب " أدب الكاتب " لابن قتيبة لم يُؤلف لتعليم الأخلاق فحسب ، وإنما أُعد ليكون دليلاً ثقافياً ولغوياً يزوّد الكاتب بما يحتاج إليه من علوم اللغة والشعر والأخبار وسائر المعارف المرتبطة بالكتابة والإنشاء [1] . كما يكشف كتاب " عيون الأخبار " عن الاتساع الذي بلغه مفهوم الأدب في القرن الثالث الهجري ؛ إذ يضم موضوعات متنوعة تتصل بالأخلاق والسياسة والحكمة والشعر والأخبار ، مما يعكس النظرة الشمولية للأدب بوصفه ثقافة عامة ومعرفة موسوعية [2] .

ويظهر هذا الاتساع كذلك في مؤلفات الجاحظ ، ولا سيما " البيان والتبيين " و " البخلاء " ، حيث جمع بين الخطب والشعر والأمثال والأخبار واللغة والنقد والنوادر ، مقدماً نموذجاً للأدب بوصفه وعاءً جامعاً لمختلف ألوان المعرفة والتعبير [3] . كما يمثل كتاب " الكامل " للمبرد مثالاً آخر على هذا الاتجاه ؛ إذ جمع بين النصوص الأدبية والمعارف اللغوية والأخبار التاريخية في إطار ثقافي واحد .

وعلى الرغم من هذا الاتساع المعرفي ، فإن الأدب لم يفقد ارتباطه بجذوره التربوية والأخلاقية . ويتضح ذلك في مؤلفات ابن المقفع ، ولا سيما " الأدب الكبير " و " الأدب الصغير " ، اللذين يجمعان بين الحكمة العملية والتهذيب الخلقي وتوجيه السلوك الإنساني . ويشير هذا إلى أن المعنى الأخلاقي للأدب ظل حاضراً حتى في الوقت الذي اتسعت فيه دلالته لتشمل الثقافة والمعرفة .

ومن ثم يمكن القول : إن مفهوم الأدب في العصر العباسي أصبح قائماً على بُعدين متكاملين : أولهما البعد الأخلاقي والتربوي الذي يعنى بتهذيب الإنسان وتقويم سلوكه ، وثانيهما البعد الثقافي والمعرفي الذي

---

[1] عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ط ٧ ، ١٩٩٨م ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

[2] عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، أدب الكاتب ، تحقيق علي قاعور ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

[3] عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، عيون الأخبار ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ ، ٤ أجزاء .

يشمل مختلف ضروب العلم واللغة والأخبار والشعر . ومن خلال هذا التداخل بين البعدين تشكل مفهوم " الأديب " في الحضارة العباسية ؛ فلم يعد الأديب مجرد شاعر أو كاتب ، بل أصبح مثقفاً موسوعياً يمتلك معرفة واسعة بتراث أمته ، وقادراً على التعبير البليغ والتفكير الواعي . وهكذا مهد العصر العباسي الطريق لظهور المفهوم الحديث للأدب ، الذي سيتجه تدريجياً نحو التخصص في الفنون الأدبية والإبداع اللغوي مع احتفاظه ببعض أصداء دلالاته التاريخية السابقة .

الأدب في دلالة المختارات الشعرية :

يُعدّ اتساع دلالة كلمة " الأدب " في العصر العباسي نتيجةً طبيعية للتطورات الثقافية والفكرية التي شهدها ذلك العصر . ومن أبرز الشواهد على هذا الاتساع ما نجده في كتاب الحماسة لأبي تمام ، الذي يُمثل أحد أهم مختارات الشعر العربي . فقد رتّب أبو تمام مختاراته في أبواب موضوعية متعددة ، وجعل الباب الثالث منها بعنوان " الأدب " ، بعد باب " الحماسة " وباب " المراثي " [1] . ولا تقتصر أهمية هذا الاستعمال على مجرد التسمية ، بل تكمن فيما يكشف عنه من اتساع مدلول الكلمة ؛ إذ أصبح " الأدب " يدل على طائفة من الأشعار التي تعالج الحكمة والتجارب الإنسانية ومكارم الأخلاق وآداب السلوك . ويشير هذا الاستعمال إلى أن المصطلح بدأ يقترب تدريجياً من المجال الأدبي بمعناه الفني والثقافي ، بعد أن كان مرتبطاً أساساً بالتربية والتهذيب . ومن ثمّ يمكن النظر إلى هذا التطور بوصفه مرحلة وسطى انتقلت فيها الكلمة من الدلالات الأخلاقية والاجتماعية إلى فضاء أوسع يرتبط بالقول الأدبي والتعبير عن الخبرة الإنسانية من خلال الشعر .

" الأدب " في المصنفات الحديثية :

وفي الوقت الذي كانت فيه دلالة " الأدب " تتجه نحو الاتساع الثقافي والأدبي ، ظل معناها الأخلاقي حاضراً بقوة في التراث الإسلامي . ويتجلى ذلك بوضوح في المصنفات الحديثية التي عُنيت بالسلوك الإنساني وآداب المعاملة . فقد أفرد الإمام البخاري في صحيحه مبحثاً مستقلاً بعنوان " كتاب الأدب " ، جمع فيه أبواباً تتناول الأخلاق والرحمة وصلة

---

[1] الجاحظ ، البيان والتبيين ، بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ٢٠٠٢م ، ٣ أجزاء ؛ وينظر أيضاً طبعة تحقيق عبد السلام هارون .

الأرحام والبر وحسن المعاملة وآداب التخاطب والتواصل بين الناس . كما ألّف الإمام البخاري رحمه الله كتابه المعروف " الأدب المفرد " ، الذي خصّصه لجمع الأحاديث والآثار المتعلقة بالقيم الأخلاقية والآداب الاجتماعية . ويكشف هذا الاستعمال عن استمرار المعنى التربوي والأخلاقي للكلمة واستقراره في الوجدان الإسلامي ، حتى في الوقت الذي كانت فيه دلالتها الثقافية تتوسع وتتطور . وبذلك يظهر أن التطور الدلالي لم يؤدِّ إلى إحلال معنى جديد محل المعنى القديم ، بل أضاف إليه أبعاداً جديدة ، مع احتفاظ المصطلح بجذوره الأخلاقية الأصيلة .

الأدب من الثقافة العامة إلى المصطلح الفني :

ومع تطور العلوم والمعارف واتجاهها نحو التخصص ، شهد مفهوم " الأدب " تحولاً جديداً أكثر ارتباطاً بالإبداع اللغوي والفني . ففي العصور السابقة كان الأديب يُوصف بأنه صاحب ثقافة واسعة ، يجمع بين معرفة اللغة والشعر والأخبار والتاريخ والحكمة . أما في العصر الحديث ، فقد تطوّرت العلوم وتنوّعت مجالات المعرفة ، وأصبح لكل علم ومجالٍ مصطلحاته الخاصة ، ولذلك أصبح معنى كلمة " أدب " أكثر تحديداً ووضوحاً ، وصارت تُستعمل بصورة خاصة للدلالة على الشعر والنثر وما يتصل بهما من فنون الكتابة والتعبير .

ومن ثم استقر مفهوم الأدب ليشير إلى فن التعبير اللغوي الجميل الذي يهدف إلى التأثير في المتلقي وإثارة وجدانه وأفكاره . وقد عبّر شوقي ضيف عن هذا المفهوم حين عرّف الأدب بأنه الكلام الإنشائي البليغ الذي يُقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين ، سواء أكان شعراً أم نثراً [1] . وبهذا أصبحت الكلمة تدل على الإبداع الفني القائم على اللغة ، وعلى مختلف الفنون التي تعبّر عن تجربة الإنسان ورؤيته للحياة .

وقد نتج عن هذا التطور ظهور تصنيفات أدبية متنوعة ، مثل الأدب الجاهلي ، والأدب الإسلامي ، والأدب الأموي ، والأدب العباسي ، والأدب الأندلسي ، والأدب الحديث ، والأدب المعاصر . كما اتسعت الفنون الأدبية لتشمل الشعر والقصة والرواية والمسرحية والمقالة والخطابة والسيرة الذاتية وغيرها من أشكال التعبير الفني .

ومع ذلك ، لم تتخلَّ الكلمة عن دلالتها الأخلاقية القديمة ؛ فلا

---

[1] أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي ، ديوان الحماسة ، باب الأدب .

تزال العربية المعاصرة تستخدم " الأدب " بمعنى حسن السلوك والتهذيب ، كما في قولهم : " فلان حسن الأدب " ، في حين يُقصد بلفظ " الأديب " صاحب القدرة على الإبداع والتعبير والثقافة الأدبية . وهذا التعايش بين الدلالتين الأخلاقية والفنية يُعدّ من الخصائص المميزة لتاريخ المصطلح وتطوره .

الأدب في العصر الرقمي :

وإذا كان مفهوم الأدب قد تطوّر في الماضي نتيجةً التغيّرات الاجتماعية والثقافية والعلمية ، فإن العصر الرقمي يمثّل مرحلةً جديدةً في هذا التطوّر . فقد أسهمت وسائل الاتصال الحديثة ومواقع التواصل الاجتماعي في انتشار اللغة بسرعة كبيرة ، وأصبح من السهل أن تصل الكلمة الواحدة إلى آلاف من الناس ، بل إلى ملايينهم ، في وقت قصير . وقد أعاد هذا الواقع الجديد إبراز البعد الأخلاقي لمفهوم الأدب ومنحه أهميةً متجددةً . فالفرد لم يعد مسؤولاً عن كلماته في المجالس الخاصة أو المؤلفات المطبوعة فحسب ، بل أصبح مسؤولاً كذلك عن كل ما ينشره أو يشاركه عبر الوسائط الرقمية . ومن هنا برزت جملة من القيم التي يمكن عدّها من مظاهر الأدب في البيئة الرقمية ، مثل التثبت من الأخبار قبل نشرها ، وتجنب الشائعات ، واحترام خصوصية الآخرين ، والابتعاد عن السخرية والإساءة اللفظية ، واحترام حق الاختلاف ، والالتزام بالأمانة العلمية في نقل النصوص والأفكار ، ونسبة الأقوال إلى أصحابها ، وعدم توظيف التقنية للإضرار بالآخرين .

وتقوم هذه المبادئ على أخلاق واضحة في الإسلام ، كما جاء في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) [الحجرات : ٦] ، وقوله تعالى : (وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً) [الحجرات : ١٢] . ورغم أن هذه الآيات جاءت في سياقات عامة ، فإن معانيها تشمل جميع وسائل التواصل والتعبير في كل زمان ومكان . وبناءً على ذلك ، يمكن القول إن التطور التقني لم يُلغِ مفهوم الأدب أو يُضعف حضوره ، بل أسهم في إعادة تأكيد أهميته وإبراز الحاجة إليه . فكلما اتسع انتشار الكلمة وزادت قدرتها على التأثير ، ازدادت مسؤولية صاحبها تجاه ما يقول ويكتب . وبذلك ظلّ الأدب مرتبطاً بحسن استخدام اللغة وحسن التعامل مع الآخرين ، سواء في الحياة اليومية أو في وسائل التواصل الحديثة ، مما يدلّ على استمرار مفهوم الأدب وقدرته على التغيّر والتكيّف مع تطوّر المجتمع عبر العصور .

خاتمة :

يتضح من خلال هذه الدراسة أن كلمة " الأدب " تمثل نموذجاً بارزاً للتطور الدلالي في اللغة العربية ؛ إذ انتقلت عبر مسيرة تاريخية طويلة من معنى اجتماعي بسيط ارتبط بالدعوة إلى الطعام وإكرام الضيف ، إلى معاني التهذيب والتربية والتعليم ، ثم اتسع مدلولها في العصر العباسي ليشمل الثقافة والمعرفة واللغة والشعر والأخبار والحكم ، قبل أن تستقر في العصر الحديث مصطلحاً فنياً يدل على مختلف أشكال الإبداع الأدبي .

كما تؤكد هذه الدراسة أن تطور دلالة الكلمة لم يكن تحولاً لغوياً معزولاً عن الواقع الاجتماعي والحضاري ، بل كان انعكاساً مباشراً للتغيرات التي شهدها المجتمع العربي والإسلامي عبر تاريخه . فقد أسهم الانتقال من حياة البداوة إلى الحياة الحضرية ، واتساع الدولة الإسلامية ، وظهور المؤسسات التعليمية ، وازدهار العلوم والآداب ، ونشاط حركة التأليف والترجمة ، في توسيع دلالة المصطلح وإثراء مضامينه .

ومن النتائج اللافتة كذلك أن الدلالة الأخلاقية لكلمة " الأدب " لم تتلاشَ على الرغم من تعدد معانيها وتوسعها ، بل ظلت ملازمةً لها في مختلف مراحل تطورها . ولهذا استمر استعمال الكلمة في العربية للدلالة على حسن السلوك والتهذيب إلى جانب دلالتها الثقافية والفنية ، وهذا يدلّ على أن الأدب ظلّ مرتبطاً بالقيم الأخلاقية في الثقافة العربية والإسلامية ، وأن هذه الصلة استمرّت عبر العصور ، مع تغيّر مفهوم الأدب وتطوّره . وبناءً على ذلك ، يمكن النظر إلى تطور دلالة كلمة " الأدب " بوصفه شاهداً لغوياً وحضارياً على تطور المجتمع العربي نفسه ، بما شهده من تحولات فكرية وثقافية واجتماعية أسهمت في إعادة تشكيل المفاهيم وتوسيع آفاقها الدلالية عبر العصور .

الهوامش :

١. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ج ١ ، ص ٧ .
٢. محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الأدب المفرد ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت : دار البشائر الإسلامية .
٣. محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ؛ وفيه حديث : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً " .

الوحدة الموضوعية وعلاقتها بالتشبيهات القرآنية :
سورة يونس أنموذجاً

بقلم : الكاتبة مرام سعيد أبو عشيبة (الأردن)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد بن عبد الله الصادق الأمين ، والصلاة والسلام على الأنبياء المرسلين وعلى أصحابه الطيبين الطاهرين .

سألقي السمع والبصر والفؤاد على البلسم الذي يشفي الصدور ، والشمعة التي تنير الدروب والنفحة الربانية التي تشرق بها النفوس ، ألا وهي معجزة رسوله الكبرى وآيته العظمى ومنبع الهداية ومورد السعادة ، إن من أعظم الأسرار التي يريد القرآن أن يكشفها لنا علم جليل عظيم القدر ، ألا وهو علم التفسير وما يتعلق به من علوم وموضوعات كالبحث في الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية وربطها بأساليب بيانية تطبيقاً عملياً ، وقد اخترت سورة يونس مثالاً على ذلك ، ومن هنا معرفة الأبعاد النفسية والوجدانية على المتلقي ، فهذا علم يفتح الله به على من يشاء من عباده .

أولاً : الوحدة الموضوعية في سورة يونس والتشبيه في قوله تعالى :

(إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) .

تعريف عام بالسورة : سورة يونس سورة مكية إلا ثلاث آيات من قوله تعالى : (فإن كنت في شك) إلى آخرهن [1] .

سورة يونس سورة مكية ، وأهدافها هي أهداف السور المكية التي تدور في دائرة معالجة قضايا العقيدة الإسلامية من حيث الإيمان بالوحدانية وبالرسالة والبعث والجزاء إلا أن لكل سورة طريقتها المشوقة الممتعة الخاصة بها في عرض تلك القضايا ، فالموضوع واحد وطريقة

[1] فتح القدير ، الشوكاني ، (ج ٢ ، ص ٦١٠ ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م

العرض مختلفة ، وهذا من جمال ورونق القرآن الكريم المعجز .

تتحدث السورة عن الكتاب الحكيم وموقف المشركين من الوحي وتقرير حقيقة أن هذا القرآن غير مفترى ولا مختلق ، فمن مفتتح السورة تناولت السورة الحديث عن آيات الله الكونية في آفاق السماوات والأرض ، وإن الغرض من ذلك التذكير ، لأنهم ملاقوه في الآخرة ليجزي الله الذين آمنوا لإيمانهم ويجزي الذين كفروا لكفرهم كما في الآية .

ثم عرضت السورة في القسم الثاني الحديث عن الذين ينكرون البعث ومصيرهم ، وفي مقابله مصير أهل الجنة ثم ذيلته بالحديث عن صفات المشركين عند وقوعهم في شدة ومأزق ، وأن سنة الله إهلاك الظالمين لافترائهم على الله ورسوله وعبادة غير الله ظناً منهم أنهم شفعاء لهم ، وصورت السورة حال الناس أمام عبادة الله ولجوئهم إلى الله في حال الشدة وتحولهم عن عبادة في حالة بسط الرزق لهم ، ثم ضربت السورة المثل على حب الحياة الدنيا ، ثم عرضت السورة مشاهد يوم القيامة ببيان عاقبة أهل الحق وعاقبة أهل الباطل ثم كشفت السورة عن بطلان عقائد أهل الشرك والضلال ثم إلى مرحلة تربية الله لرسوله وما يدور في نفسه وتمضي السورة في الحديث عن بعض قصص الأنبياء كنوح وموسى ويونس ثم قررت السورة ما أثبتته في البداية وهو أن الوحي حق [1] .

مناسبة آية المثل للآية للآيات السابقة :

قال تعالى : (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [يونس : ٢٤] .

لما كان الحديث في الآيات السابقة عن إذاقة الناس الرحمة والغنى والتوسعة من بعد ضراء مستهم وما كان منهم بعد هذه التوسعة إلا الطعن في آيات الله والاستهزاء بها وعودتهم إلى العناد والجحود ، لذلك يرد عليهم بأن الله أسرع مكراً منهم وأن ملائكته يسجلون كل كبيرة

---

[1] من العلماء الذين تكلموا في الوحدة الموضوعية في سورة يونس سيد قطب في تفسيره ، في ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ١٧٤٥ ، دار الشروق القاهرة ، ومحمد حجازي في التفسير الواضح ، ج ١ ، ص ١٠٢٢ .

وصغيرة ، ثم ساقت السورة مشهداً من مشاهد تقلبهم وجحودهم بعد أن نجاهم الله وهم في البحر بعد أن ارتفعت الأمواج بهم ، فلما نجاهم الله عثوا في الأرض فساداً ثم ضرب الله مثلاً لمتاع الحياة الزائلة الفانية [1] ، فهذا المثل يتناسب مع المقام والسياق الذي سيق المثل من أجله .

التشبيه لغةً : التمثيل والمثل : ما يضرب به الأمثال ، و (مثل) الشيئ صفته [2] .

وفي الاصطلاح : الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى [3] .

إن المثل قد يكون نتيجةً لمقدمات قد ذكرت لإبراز المعاني الخفية أو قد يكون مقدمةً لحقيقة من الحقائق أو حكم من الأحكام للوصول إلى النتائج المستنبطة من [4] .

التشبيه في الآية : لما كان موضوع السورة عن الرسالة وإنكار القرآن الكريم والوحدانية والربوبية والاعتقاد أن الحياة الدنيا هي الباقية والاطمئنان إليها ، وهناك من يدعو الله ليكشف عنه الضر فكلما يكشفه عنه يعود إلى الجحود والإنكار فما ذلك إلا لحبه للدنيا وزينتها وزخرفها الفاني ، فضرب الله مثل الحياة الدنيا تصويراً حسياً واقعياً في لوحات متعددة .

بهذه الصورة بلوحة مبدعة تعبر عما يختلج شعور الإنسان وأن حياته كل حياة لأنه يجري وراء سراب ، فهذا تشبيه يتناسب مع سياق الآيات السابقة وهو مشهد البحر والموج ، والحاجة في هذا المقام إلى التضرع إلى الله والإنابة إليه لما كانوا عليه من اطمئنانهم لما هم فيه بعد أن نجاهم الله ، وبيان أن بغيهم على أنفسهم حيث لا ينفعهم ، عقب بعد ذلك بضرب المثل بتشبيه في لوحة متناسقة مترابطة ليصور لنا .

أولاً : (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) :

وصيغة القصر لتأكيد المقصود من التشبيه وهو سرعة الانقضاء .

---

[1] تفسير سورة يونس محمد سيد طنطاوي ، ص ٧١ .

[2] مختار الصحاح ، الرازي ، ص ١٣٨ و ٢٥٦ .

[3] الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ط ١ ، ٢٠٠٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (١٦٤) .

[4] الأمثال القرآنية دراسة تحليلية ، محمد بكر إسماعيل ، ط ١ ، ٢٠٠٠م ، دار المنار – القاهرة ،ص ١٣٥

ولتنزيل السامعين منزلة من يحسب دوام بهجة الحياة الدنيا لأن حالهم في الانكباب على نعيم الدنيا كحال من يحسب دوامه ، وينكر أن يكون له انقضاء سريع ومفاجئ . والمعنى : قصر حالة الحياة الدنيا على مشابهة حالة النبات الموصوف ، فالقصر قصر قلب ، بني على تنزيل المخاطبين منزلة من يعتقد عكس تلك الحالة .

شبهت حال الحياة في سرعة انقضائها وزوال نعيمها بعد البهجة به وتزايد نضارتها بحال نبات الأرض في ذهابه حطاماً ومصيره حصيداً ، ومن بديع هذا التشبيه تضمينه لتشبيهات مفرقة من أطوار الحالين المتشابهين بحيث يصلح كل جزء من هذا التشبيه المركب لتشبيه جزء من الحالين المتشابهين ، ولذلك أطنب وصف الحالين في ابتدائه [1] .

ثانياً : (كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ) :

شبه به ابتداء أطوار الحياة من وقت الصبا إذ ليس ثمة سوى الأمل في نعيم العيش ونضارته ، فلذلك الأمل يشبه حال نزول المطر من السماء في كونه ما يؤمل منه زخرف الأرض ونضارتها .

ثالثاً : (فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ) :

شبه به طور ابتداء نضارة العيش وإقبال زهرة الحياة ، فلذلك يشبه خروج الزرع بُعيد المطر فيما يشاهد من بوارق المأمول ، ولذلك عطف بفاء التعقيب للإشعار بسرعة ظهور النبات عقب المطر ، فهذا يؤذن بسرعة نماء الحياة في أول أطوارها وعبر عنه بالاختلاط بالماء بحيث ظهر قبل جفاف الماء أي اختلط النبات بالماء فجاوره وقارنه .

رابعاً : (مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ) :

فيها وصف لنبات الأرض الذي منه أصناف يأكلها الناس من خضراوات وبقول وأصناف تأكلها الأنعام من عشب وكلأ ، وذلك يشبه به ما ينعم به الناس في الحياة من اللذات وما ينعم به الحيوان فإن له حظاً في نعيم الحياة بمقدار نطاق حياته ولما كان ذلك قد تضمن المأكول والأكل صح أن تشبه به رغبات الناس في تناول لذائذ الحياة على حسب اختلاف مراتب الهمم بتضمين تشبيه معالي الأمور من نعم الدنيا التي تسمو إليها الهمم العوالي بالنبات الذي يقتاته الناس وتشبيه سفاسف الأمور بالنبات

---

[1] التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م ، ج ١ ، ١٩٥٨م .

الذي تأكله الأنعام ويتضمن تشبيه الذين يجنحون إلى تلك السفاسف بالأنعام كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) [محمد : ١٢] .

خامساً : (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ) :

وهو غاية شبه بها بلوغ الانتفاع بخيرات الدنيا إلى أقصاه ونضوجه وتمامه وتكاثر أصنافه وانهماك الناس في تناولها ونسيانهم المصير إلى الفناء ، وأمر الله : تقديره وتكوينه بإصابة تلك الأرض بالحوائج المعجلة لها باليبس والفناء ، وفي معنى (حتى) ما يؤذنٍ بأن بين مبدأ ظهور لذات الحياة وبين منتهاها مراتب جمةً وأطواراً كثيرة ، كما أن الأرض شبهت بالمرأة حين تتزين من حلي وألوان ووشي وخر .

لقد ضرب الله هذا المثل لبيان مدى تمتع الكافرين ببغيهم وإمهالهم ، ويزيد تلك الإشارة وضوحاً قوله تعالى : (وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا) المؤذن بأن أهلها مقصودون بتلك الإصابة (أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا) بأنهم مستمرون على الانتفاع بها محصلون لثمراتها ، فأطلق على التمكن من الانتفاع ودوام لفظ القدرة على وجه الاستعارة .

سادساً : (لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ) :

وفي ذلك بيان من إمكان زوال نضارة الحياة في جميع الأزمنة ، والحصيد : المحصود ، وهو الزرع المقطوع من منابته والإخبار عن الأرض بحصيد على طريقة المجاز العقلي ، وإنما المحصود نباتها ومعنى لم تغن : لم تعمر ، أي : لم تعمر بالزرع ، يقال : غني المكان إذا عمر ، ومنه المغنى للمكان المأهول والباء في بالأمس للظرفية ، والأمس : اليوم الذي قبل يومك ، واللام فيه مزيدة لتملية اللفظ مثل التي في كلمة الآن .

الخاتمة :

من أسلوب القرآن الكريم البديع أنه ينتقل بنا من معنى إلى معنى ، ومن صورة إلى صورة انتقالاً يحرك الوجدان والشعور مما يزيد التفاعل مع هذه الصور البيانية الفنية المترابطة كالتشبيه ، فهو يهدف إلى تقرير المشبه في النفس بصورة المشبه به فيمتع العاطفة والخيال بصور ومشاهد وأحداث فيها من الحياة والحركة .

والله أعلم .

جولة علمية
في تراث الدكتور محمد الوكيل

(الحلقة الثانية الأخيرة)

إعداد : د/ أبو سحبان روح القدس الندوي*

(٤) المسجد النبوي عبر التاريخ : ط : الأولى ١٩٨٨م .

يشتمل هذا العنوان من الكتاب على أربعة أبواب ، كل باب يشتمل على فصول ، يسبق ذلك كله تمهيد عن دور المسجد ، واهتمام الإسلام بعمارة المساجد ، وكيف أدى المسجد رسالته ، ثم المسجد في عهد الخلفاء الراشدين ، ويليه المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك ويتلوه المسجد في العصر العثماني والمسجد في عهد السلطان عبد المجيد الأول والمسجد النبوي في العصر السعودي ، ثم التوسعة السعودية الجديدة .

إذن الكتاب يتضمن الأطوار التي مر بها المسجد النبوي عبر التاريخ .

(٥) المدينة المنورة معالم وحضارة : ط : دار القلم بدمشق ١٩٩٦م .

قصد المؤلف فيه توضيح الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في المدينة المنورة بعد انتقال مقر الخلافة إلى الشام في عهد الأمويين ، ثم إلى العراق في عهد العباسيين (ص : ٥) .

" وكانت الحركة العلمية في المدينة مستمرة ، لم تنقطع برغم تحول العاصمة عنها ، وبرغم ما كان من أمرها من ضعف الأوضاع الاقتصادية ، وكان المسجد النبوي مصدر الإلهام ، ومبعث الإشراق ومركز الرحى ، يفد إليه العلماء من أنحاء الدولة الإسلامية المختلفة من الشام ومن العراق ، ومن مصر ، ومن المغرب العربي ، وحتى من الأندلس ، ينهلون من بحور العلم التي كانت تتدفق من خلال حلقات الدروس التي كانت تعقد فيه " (ص : ٨ – ٩) .

وكان على رأس العلماء فيه الفقهاء السبعة ، وهؤلاء السبعة هم الأئمة الذين يُرجع إليهم في الفتوى ، وقد أوجدوا في المدينة حركة علمية واسعة ، ونشاطاً عقلياً لا نظير له ، حيث كانوا يستنبطون الأحكام ، ويفتون في المعضلات ، ويحلون بفهمهم وعقلهم أعوص المشكلات (ص : ٩) .

---

* قسم الاختصاص في علوم الحديث الشريف بدار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ (الهند) .

وأن الحركة العلمية استمرت متطورةً ، يحمل لواءها علماء وفضلاء ، كالإمام مالك (٩٣ – ١٧٩هـ) ، وتلامذته الذين جابوا البلاد ، وطوّفوا الآفاق ، وازدهرت على أيديهم الحركة العلمية في المدينة المنورة واستمرت من بعدهم تطوي الزمن ، وتسير في كل مكان حاملة لواء العلم والمعرفة ، لم يوقفها شيئ ولم تتوقف هي عند أيّ شيئ (ص : ١٠) .

وظلت كذلك حتى لحقتها عوامل التطور الحديث في العهد العثماني ، ثم كانت في العهد السعودي ، حيث فتحت المدارس ، واتسعت ثم اتسعت لعشرات الآلاف من التلاميذ ، ثم فتحت الجامعات ، وفتحت هذه الجامعات أبوابها تستقبل الطلاب ، وتغذيهم بالعلم ، وتنير عقولهم بالثقافة التي كانوا يفتقدونها " (ص : ١٠) .

وهكذا كانت المدينة المنورة مركز إشعاع ، تضيئ الذين يقصدونها طريقهم ، وتدلهم على الخير الذي كانوا ينشدون فيواصلون المسيرة (ص : ١٠) .

القيادة والجندية في الإسلام :

لا جرم ، أن القيادة والجندية هما الدعامتان اللتان اهتم بهما الإسلام عند إقامة دولته ، فلا يمكن أن تقوم دولة بغير قيادة ، ولا قيمة للقيادة بدون جنود ، والقيادة في الإسلام يمثلها الخليفة ، والجنود هم المسلمون الذين يعيشون في كنف الدولة الإسلامية ، فمن القيادة يكون التصميم والتخطيط ، ومن الجنود يكون العزم والتنفيذ ، وبالتصميم والتخطيط ، والعزم والتنفيذ تخرج المشروعات إلى حيز الوجود (ص : ١١ مع تلخيص يسير) .

والكتاب له طرفان : طرف عنوانه " القيادة " ، وطرف ثان : موضوعه " الجندية " ، وكل طرف له جزء مختص به .

والطرف الأول (القيادة) تناول القيادة في الإسلام مفهومها ومنزلتها : وقضية الجهاد ومشروعية وكيفية تكوين الجيش الإسلامي وتدريبه ، وحقوق القيادة وواجباتها .

ويحتوي هذا الطرف على ثلاثة فصول :

الأول : يتضمن التمهيد ، والخلافة ، والإمامة ، والبيعة والشورى .

والثاني : تحدث عن ملامح المجتمع الإسلامي وأبعاده المتمثلة في :

١. وحدة العقيدة
٢. وحدة الوسائل
٣. وحدة الغاية
٤. الجماعة والعمل الجماعي

أما الفصل الثالث : فمختص بالقيادة وحقوقها وواجباتها ، أما الطرف الثاني من الكتاب فموضوعه : " الجندية " : دار الوفاء ، المنصورة ، ط : الثانية ١٩٨٨م ، وهذا الطرف الذي به قوام هذه الأمة ، والذي يشد أزر القيادة ويقوّيها ، ويدافع عنها ، ويحميها ، والجندية هي الدرع الواقي ، والحصن المنيع للإسلام والمسلمين (ص : ٦) .

والجندية هي الجزء المتمم للقيادة ، وكلتاهما لا وجود لهما ما لم يجتمعا ، فلا قيادة بدون الجندية ولا جندية بدون القيادة (ص : ٦) .

والجندية في الإسلام لابد أن تكون العافية لها ، والنصر معقوداً بلوائها لأنها موعودة بذلك من الله تعالى : (وَإِنَّ جُندَنَا لَهُم الغَالِبُون) [الصافات : ١٧٣] (ص : ٧) .

وهذا الطرف من الكتاب يشتمل على ثلاثة أبواب ، كل باب له فصول .

الفصل الأول من الباب الأول : ملامح الجندية في الإسلام

والفصل الثاني : كيف نربي الشباب في ظل الإسلام ؟

وهذا الفصل يعرض مراحل التربية

والفصل الثالث: كيف عالج الإسلام مشكلة المراهقة ؟

والفصل الرابع : ضمانات لصيانة المجتمع ، وهي :

١. ملء الفراغ
٢. التستر والاستحياء
٣. تحريم الخلوة والاختلاط (ص : ٥٩ — ٧٣)

الباب الثاني : الجندية : واجباتها وحقوقها .

والجندية هي مجموعة الرجال القادرين غير المعذورين في الدولة الإسلامية ، سواء كانوا عسكريين أم مدنيين (ص : ٧٣) .

وهذا الباب يحتوي على ثلاثة فصول آتية .

الأول : يحتل ثلاثة محاور :

١. الولاء
٢. العقيدة أساس الولاء
٣. عدم الموالاة لا يستلزم الإكراه

وقد فصل المؤلف هذه الفقرات ما ملخصها فيما يلي :

أما الولاء فهو الحب والتناصر والتحالف ، وهو بهذا المعنى من أوجب واجبات الجنود لقيادتهم ومبادئهم ، لأن الجندية الصحيحة لا تتحقق إلا بالحب المتبادل بين الجنود والقيادة ، والقيادة المخلصة لا توجد

إلا بالتناصر والتحالف بينها وبين جنودها (ص : ٧٧) .

أما العقيدة فهي الأساس الذي يبنى عليه الولاء في الإسلام ، لأن الأصل أن المسلم لا يوالي إلا المسلم حيث تجمع بينهما عقيدة التوحيد ، فإذا اختلفت العقيدة فلا موالاة ولا تناصر ، كما أن غير المسلمين يوالي بعضهم بعضاً مهما اختلفت نِحلهم وعقائدهم (ص : ٨٢) .

ولن يكون عدم الولاء مستلزماً لإكراه غير المسلمين على الدخول في الإسلام (ص : ٨٤) .

ومن خلال ذلك فهم المسلمون أنّ ولاءهم لا يكون إلا لقيادتهم ، وإخلاصهم لا يكون إلا لعقيدتهم ، وجهادهم لا يكون إلا لإعلاء كلمة الله (ص : ٨٤) .

أما الفصل الثالث والأخير من الباب المذكور فتناول حماية الإسلام والدفاع عنه ، والبحث المتعلق به يدور حول أربعة مجالات فكرية :

أ. الغزو الفكري
ب. الإغراء الجنسي
ج. الإلحاد والخروج من الدين
د. الدس في مناهج التعليم

كل هذه ألوان من الحروب التي استحدثها الأعداء ليسلخوا المسلمين عن دينهم ، ويبعدوهم عن مصادر قوتهم وعزهم ، ويذللوهم لأهوائهم وأفكارهم (ص : ١٣٩) .

ثم عالج المؤلف هذه الأسباب (ص : ١٥٨ – ١٦٨) بالعناية البالغة .

أما الباب الثالث المعنون بحقوق الجندية ، فهي تتلخص في فصول ثلاثة آتية :

١. الرفق بالجنود
٢. احترام آرائهم
٣. القيام على مصالحهم

وقد تناول المؤلف كل شق منها بالتفصيل (ص : ١٧٧ – ٢٢٤) .

أما الرفق بالجنود فله صلة قوية بما يأتي :

أ. العبادات
ب. المعاملات
ج. الجهاد

أما القيام على مصالح الناس فهو من أوجب واجبات الحكومة وهي كثيرة ، ومن أهمها :

أ. الأمن النفسي والجسمي
ب. الرخاء المادي والمعنوي
ج. التعليم بكافة أنواعه (ص : ٢١٧ – ٢٤٢)

وأردف ذلك بعنوان مهم جداً ، وهو : العلاقة بين القيادة والجندية ، وناقش العلاقات بينهما على الأسس الآتية :

١. التعاون
٢. المحبة
٣. التناصح
٤. العدالة (ص : ٢٤٢ – ٢٤٦)

ثم التفت المؤلف إلى ذكر الوسائل المنوطة بالنصر (ص : ٢٤٦)

ومن أبرز تلك الوسائل :

أ. التربية والإعداد
ب. جلب السلام وإعداده
ج. تدريب الجنود على السلاح

أما التربية في الإسلام فتقوم على أساسين هامين في نظر المؤلف ، وهما :

١. الجانب الديني
٢. والجانب الأخلاقي

ومثّل لهما مستدلاً بالحديث المشهور على الألسنة وطرف الأقلام ، وافقاً على فقه الحديث فيه : " مروا أولادكم بالصلاة . . . . وفرِّقوا بينهم في المضاجع " .

وختاماً طوى المؤلف بحثه ونقاشه ومعالجته بعنوان : " واجبنا عند اللقاء " ، وذكر ست صفات ، ملقياً ضوءاً كاشفاً عليها ، وهي :

١. الثبات
٢. الإكثار من ذكر الله
٣. طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
٤. عدم التنازع والاختلاف
٥. الصبر
٦. التواضع والإخلاص ونشر الدعوة

وللمؤلف الباحث محمد الوكيل كتب وبحوث دبجها قلمه السيال ، أكتفي بسرد أسمائها دون التعريف بها :

- هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه

- تأملات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم
- لمحات من تاريخ الدعوة (١ – ٣)
- قواعد البناء في المجتمع الإسلامي
- نظرات في أحسن القصص
- الأمويون بين الشرق والغرب
- الحركات الإسلامية: تطلعات وحقائق
- المستشرقون والإسلام
- الهجرة النبوية : دراسة وتحليل
- موقعة اليرموك : دراسة وتحليل
- مدرسة الدعوة
- تقنين الدعوة : مراحلها ومناهجها واستمراريتها من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري

وللمؤلف اعتناء بالتحقيق ، فحقق كتابين هامين ، هما :

١. الأوائل : لأبي هلال العسكري (المتوفى نحو ٣٩٥هـ) ، تحقيق وضبط وتعليق : د . محمد الوكيل ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ، طنطا ، ط : أولى ١٩٨٧م .
٢. تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (Israel Wolfensohn 1899–1980) .

هو في الأصل رسالة دكتوراه تقدم بها المستشرق إسرائيل ونفسون (أبو ذؤيب) أستاذ اللغات السامية بدار العلوم في مصر .

تحقيق وتعليق واستدراك : دكتور محمد الوكيل ، صدرت طبعة محققة في دار قطر الندى ، بمصر عام ١٩٩٥م .

موضوع الكتاب : يرصد هجرات اليهود إلى شبه الجزيرة العربية ، استقرارهم في مناطق مثل يثرب وخيبر وتيماء ، وتفاعلهم الاجتماعي والاقتصادي مع القبائل العربية ، وأحوالهم السياسية حتى إجلائهم في صدر الإسلام .

استدرك المحقق (د . محمد الوكيل) على المؤلف بعض الملاحظات العقدية والتاريخية .

وعلّق على النصوص التي تحتاج إلى تمحيص وتصحيح في نسب القبائل والأحداث .

ووضع المراجع والمصادر الإسلامية والتاريخية المقابلة لما ورد في الطبعة الأولى التي نشرت لأول مرة عام ١٩٢٧م ، بتقديم د . طه حسين .

تهديدات للعودة بالعالم الإسلامي إلى عصر الحجارة ! وهدم الكعبة *

الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي رحمه الله تعالى

تدرجت النوايا المغرضة نحو تضييق أرض الله الواسعة على الدين الذي اختاره الله سبحانه للإنسانية جمعاء ، وجعله ديناً خالداً باقياً إلى أن يأذن الله تعالى بقيام الساعة ، ذلك ما قد أعلن عنه في كتابه بغاية من الوضوح والتأكيد فقال : (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّه الإِسلاَمُ) ، ويعلم الجميع أن هناك جماعات ودُويلات ومراكز سياسات رخيصة كانت قد ماتت في مهدها ، لأنها أرادت فرض نظراتها الخاطئة وسياستها الاستغلالية على العالم البشري ، ثم إنها بوحي من شياطين الإنس والجن حاولت أن تعود إلى حياة من جديد ، وتجرب مرة ثانية سرّ التوصل إلى هدف سيّئ توخته إزاء ما أنزله الله سبحانه من منهج كامل دائم للحياة الإنسانية حيث استظل الإنسان بظلاله الوارفة في كل زمان ومكان وفي كل عصر ومصر ، وفي كل جيل وعنصر ، فسادَ الأمن والسلام وعمّ العلم والخلق ، والحب والأخوة ، وذاقت الدنيا طعم حياة الإيمان ولذة الحب والإخلاص .

هناك في الشرق دولة خاسرة تعرف باسم روسيا التي تلعب اليوم دوراً خطيراً حينما تتدخل بإيعاز من بعض الدول المسلمة في قضية النظام السوري والمعارضة التي تحاول إجراء المفاوضات للتوصل إلى نتيجة إيجابية توقف خسائر الأرواح والأموال وتحول دون الحصار المفروض على الشعب السوري ، وإطلاق حريتهم للعيش في بلادهم وأوطانهم بالأمن والسلام ، ولولا أن روسيا المعاندة المتوترة الأعصاب حالت دون ذلك وأوجدت عوائق ضد المسالمة وإعادة الماء إلى مجاريها لكان الوضع في هذا البلد العريق في الدين وذي التاريخ الإسلامي المشرق من قديم ، بلد العلماء والمؤرخين الإسلاميين ، بلد المجاهدين المخلصين ، بلد العظماء من الدعاة والمحدثين ، غير ما عليه اليوم ، وكادت تجد مشكلة النظام والمعارضة حلاً عملياً ، وانتهت المآسي التي اضطرت عدداً هائلاً إلى المهاجرة وترك أراضيهم إلى

* مقال كتبه رحمه الله قبل عشر سنوات في مارس ٢٠١٦م ، وهو يصوِّر الواقع المعاش تصويراً كاملاً ، فنكرر نشره تعميماً للفائدة .

جهة مجهولة وبلدان لا تكاد تتحمل عبء المهاجرين ولا توفر لهم بُلغة العيش وذريعة المعاش .

ولكنها روسيا التي تنتهز الفرصة وتعرقل سير المفاوضات وتفشل قرار الأمم المتحدة لإيجاد السلام وإعادة الأمن السابق إلى سوريا وما إليها ، وإفساح المجال لعودة المهاجرين وإنقاذهم من المعاناة والحرمان إلى حياة الإنسان وحقوق السكان ، الأمر الذي كان يجب أن ينجزه بجدية زعماء هذا البلد الأجنبي الذي حارب الإسلام وأهله إلى مدة طويلة ، ثم تبعثر وتمزق اتحاده وذهب أدراج الرياح ، ولنا أن نتساءل: أين ذهب الاتحاد السوفياتي الذي روّجه زعماء الشيوعية وماذا كان مصيره ، وابن لينن وخروشجوف ، وأعوانهما ووزراؤهما ، أين ذلك النظام الشيوعي الذي حارب الإسلام والمسلمين إلى مدة سبعين عاماً ، ثم كتب له الانذياب ومات ميتة شنيعة لم يعد له عين ولا أثر .

إن الشيوعية المدفونة تريد أن تعود إلى ساحة الحياة بمساعدة من بعض الدول المسلمة أو بتأييد من بعض بقايا أنصارها الماضين ، ولكن الله سبحانه أبى إلا أن تكون عالة على المسلمين ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أبى إلا أن تكون رهينة الإفلاس والنكبات ، ومثيرة للفتن ومفسدة في أرض الله تعالى ، وكانت قد طلعت آثارها من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان منذ أن أخبر الصادق المصدوق وتنبأ به بوحي من الله سبحانه فقال فيما رواه سالم رضي الله عنه عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام إلى جنب المنبر فقال : الفتنة ها هنا ، الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان (رواه البخاري في كتاب الفتن) ، وفي رواية ابن عمر رضي الله عنهما قال : (هناك الزلازل والفتن ، وبها يطلع قرن الشيطان) .

فهل هناك شك فيما إذا كانت هذه النبوءة قد ظهرت ولا تزال في المشرق الذي طلع منه المناوؤن للإسلام ، وتجمّع فيه الشياطين ضد دين الله تعالى ، حيث اتفقوا على محاربته وأنشأوا اتحاداً لتحقيق هذا الغرض ، وهدموا القيم الخلقية وأبطلوا الحجاب الطبيعي بين الرجل والمرأة ، وفرضوا على المرأة أن تخرج لطلب المعاش لها ولأسرتها حيثما شاءت ، وكانوا قد سمّوه " الاتحاد السوفياتي " الذي تهدمت أركانه وذهبت آثاره ، في ظرف سبعين عاماً فقط ولم يعد له وجود بعد ذلك ، وكان يعرف باتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية الذي كان يُعتبر أكبر دول العالم مساحة ، وحلت محله روسيا الاشتراكية وبدأت تستعيد قوتها من

خلال حربها على العالم الإسلامي ، وأخيراً نالت شبه صداقة مع رئيس سوريا ضد المسلمين من أهل السنة وعلمائهم ودعاتهم وأئمتهم ، فكان من نتاج هذه الصداقة الانتهازية أنها أصبحت بحكم السياسة الحاضرة الجناح الأيمن للرئيس . . . . وسرعان ما تحولت سوريا إلى ميدان قتال من جراء القذائف التي كانت تمطر على الأبرياء ، زد إلى ذلك الحصار الذي تقيد فيه عدد كبير يبلغ إلى أكثر من مليون مسلم ، حتى سد عليهم الطريق نحو الهجرة والخروج إلى مكان آمن ، أما مصير المهاجرين والهاربين من البلاد إلى جهات معلومة ومجهولة فقد أصبح في ظهر الغيب ، ودور روسيا في هذه العملية السيئة والوحشية واللاإنسانية معروف لدى العالم كله .

ومن ثم فقدت روسيا الاتزان العقلي ووقعت فريسةً للقوة المزعومة وظنت أنها أكبر قوة في العالم اليوم ، تستطيع أن تقهر جميع القوى العالمية ، وبدأت تحلم بالقيادة على مستوى العالم بكامله ، وهي الآن تملي إرادتها على سوريا وما جاورها من البلدان ، وتأمر حكامها وتنهى ، ولا تقصر في استغلال ثرواتها من كل نوع ، وتعامل رئيس البلد السوري كالعبيد ، وهو في متناول يدها مسجون ، تصرفه حيثما أرادت ، وأقفرت المناطق كلها إنساناً ومعيشةً وغذاءً ولباساً ، والناس يموتون جوعاً وفقراً ، وسلطة الروس قائمة بيد من حديد ، فإذا بها وجهت تهديداً بغاية من الإساءة والشناعة إلى المملكة العربية السعودية بما فيها من الحرمين الشريفين ، وبلغت بها الوقاحة إلى أن وجهت إنذاراً مشدداً إلى حكومة المملكة العزيزة وشعبها المسلم ، وقالت: سوف نمزق السعودية إرباً إرباً ونمحوها من أصلها حجراً حجراً ، ونرجعها إلى عصر الحجارة الذي عاشه شعبها من قبل ، ونرميها رمياً بالأحجار ، وهي بهذا البذاء وأمثاله ، أساءت إلى قدسية الأرض التي تحوي المقدسات الإسلامية والحرمين الشريفين بوجه خاص ، والعياذ بالله .

وقد جاءت في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم إشارة إلى القوم الذين يتوخون هدم الكعبة المشرفة ونهب خيراتها ، فقد جاء فيما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (يغزو جيشٌ الكعبة فيخسف بهم) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كأني به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : (يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة) .

ولعل هذا الجيش بدأ ينطلق نحو تحقيق مراميه بواسطة هذه الحكومة الاشتراكية الشرقية المعادية للإسلام وبيت الله الحرام ، وفعلاً قرأ الناس وسمعوا تهديداتها ضد بلاد الحرمين ومقدساتها وشعبها وحكومتها .

وقد يوجد من يتساءل ! إذا كان الله سبحانه قد صان بيته عن أبرهة الأشرم ، الذي كان قد غزا مكة المكرمة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم وبعثته ، مع جيش مكثف من أصحاب الفيل ، متأكداً أنه يهدم الكعبة المشرفة التي يطوف بها العرب ويشرفونها تعظيماً لما اختار الله تعالى أرض مكة لبناء بيته فيها . وكان أبرهة نصرانياً يبغض بيت الله تعالى فحاول أن يصرف العرب إلى كنيسته التي قد بناها في صنعاء اليمن التي كان يحكمها ، وأعلن في الجزيرة العربية بأن يطوف أهلها الكنيسة التي صنعها في اليمن ويتركوا الطواف بكعبة مكة ، الواقع الذي أثار غيظ أهل مكة ، وذهب رجل منهم إلى اليمن ودخل في كنيسته وقعد فيها (يعني : أحدث) بدلاً من أن يطوف بها ، فزاد ذلك أبرهة غيظاً وحنقاً ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت لهدم الكعبة ، وخيّبه الله تعالى وعذبه ولم يرجع منها إلا كفرخ الطائر ، فما مات إلا وقد انصدع صدره عن قلبه .

إذا كان رب البيت قد حفظ بيته المكرم من ذلك الجيش المكثف وأصحاب الفيل من أبرهة العدو النصراني ، فكيف يمكن أن يهدمه ويخربه ذو السويقتين من الحبشة ؟؟

وأجيب على هذا السؤال بأن هدم الكعبة محمول على أنه يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة حتى لا يبقى في الأرض أحد يقول : الله ، الله .

وقد جاءت في قصة أبرهة إشارة إلى أنه أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت . . . . . لهدم الكعبة ، وينطبق ذلك على الحديث الشريف الذي جاء فيه : يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ، وليس هنا أي ريب مما إذا كان رجل أو رجال في آخر الزمان يخرجون من الحبشة لتحقيق هذا الغرض الخبيث ، والله أعلم بذلك حقاً ، وهو عالم الغيب والشهادة ، كما قد أخبر بذلك في كتابه العظيم : (هُوَ اللَّهُ الَّذِى لاَ إِلـهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمـنُ الرَّحِيمُ) .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

المسلمون في الصين بين الماضي والحاضر

الأستاذ السيد عنايت الله الندوي *

تعد الصين أكبر دولة سكاناً في العالم ، وثالث أكبر دولة من حيث المساحة . وقد دخل الإسلام في الصين عبر طريقين : الطريق البحري إلى الجزء الجنوبي الشرقي من البلاد ، والطريق البري إلى الجزء الشمالي الغربي . وكان الواصلون إلى الجزء الجنوبي الشرقي من الدعاة والتجار العرب ، بينما كان الواصلون إلى الجزء الشمالي الغربي من الجنود الأتراك .

ذكر المؤرخ البريطاني ويلز (H. G. Wells) في كتابه " موجز تاريخ العالم " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كتب الرسائل في عام ٦٢٨م إلى ملوك إيران والروم وغيرهم لدعوتهم إلى الإسلام ، أرسل رسالةً بالمعنى نفسه إلى ملك الصين أيضاً . وكان حاكم الصين في ذلك الوقت هو الإمبراطور تايتسونغ (Taizong) من سلالة تانغ . وكان السُّفَراء الذين حملوا الرسالة أربعة من الصحابة ، وهم : (١) وقاص ، (٢) وهب ، (٣) أنس ، (٤) حسين .

وصل هؤلاء الأعلام إلى الصين في عام ٦٣٢م بعد خوضهم رحلة بحرية طويلة ، وسلموا رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإمبراطور تايتسونغ . وبعد الاطلاع على فحوى الرسالة ، استقبل الإمبراطور هؤلاء السفراء بحفاوة وإكرام ، ورغم أنه لم يسلم ، إلا أنه أمر ببناء مسجد في مدينة كانتون (كوانغتشو) الساحلية ، ومنحهم السماح والتسهيلات الكاملة للإقامة في الصين والقيام بنشر الدعوة والتبليغ .

بقي هؤلاء الأربعة هناك في الصين وواصلوا العمل في نشر الإسلام ، واتخذوا من المدن الجنوبية الشرقية مراكز لتبليغهم ؛ فبدأ أحدهم نشاطه الدعوي والتبليغي في مدينة كانتون ، والثاني في مدينة يانغتشو ، بينما بدأ الثالث والرابع نشاطهما في مدينة توانغتساو ، وكان اسم الصحابي الذي أقام في مدينة كانتون (كوانغتشو) هو " وقاص " . ولا تزال هذه

* أستاذ دار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ .

الكتابة التذكارية باللغة العربية موجودةً حتى اليوم في أول مسجد بُني في الصين بمدينة كوانغتشو : " هذا أول مسجد في الصين بناه سيدنا وقاص رضي الله عنه " .

ويُذكر أنه توفي في مدينة كانتون وله فيها مقبرة هناك . وتقع مدينة كانتون في مقاطعة غوانغدونغ بالقرب من هونغ كونغ . وقد منح ملوك سلالة تانغ هؤلاء حريةً ورخصةً كاملةً للقيام بأعمال الدعوة والتبليغ داخل الصين ، كما دخل العديد من التجار العرب المسلمين إلى الصين عبر الطريق البحري .

واستقروا هناك استقراراً دائماً ، وواصل هؤلاء التجار العرب أيضاً عمل نشر الإسلام داخل الصين ؛ ونتيجةً لجهودهم الدعوية ، دخل عدد كبير من الصينيين في دين الإسلام في مقاطعات يونان ، وغوانغشي ، وفوجيان ، وغوانغدونغ ، وتشيجيانغ ، وأنهوي ، وجيانغشي ، وهوبي ، وهونان ، حتى أصبحت للمسلمين الأغلبية في مقاطعتي يونان وهوبي .

وفيما يتعلق بقدوم الجنود الأتراك إلى الجزء الشمالي الغربي ، يُروى أنه في عهد الإمبراطور شوانزونغ (Xuanzong) من سلالة تانغ الحاكمة ، تمرد عليه الجنرال " لوشان " وحاصر العاصمة . وأثناء المحاصرة ، فرَّ الإمبراطور هارباً . وعندما رأى الأمراء والوزراء أن الإمبراطور قد ترك القصر وهرب ، نصبوا ولي العهد و الشاب شوزونغ (Suzong) إمبراطوراً ، وطلبوا منه إرسال سفير سريع إلى خراسان لطلب المساعدة العسكرية من الحكام المسلمين هناك .

وعلى الفور ، تم إرسال مبعوث خاص ببرقية إلى أمير خراسان ، وبعد أقل من شهرين وصلت القوات المسلمة المكونة من عشرة آلاف جندي . وبمجرد وصولهم إلى قرب العاصمة الصينية ، انقضوا على المتمردين ونجحوا في هزيمتهم بعد معركة صارمة . وعندما رأى الإمبراطور شوزونغ أن الجيش المسلم قد انتصر وأن تمرد الجنرال لوشان قد فشل ، فرح بذلك ، وأذن للمسلمين بالإقامة في العاصمة وفق رغبتهم ، والزواج من النساء الصينيات .

وبذلك استقر هؤلاء الجنود المسلمون البالغ عددهم عشرة آلاف في المنطقة الشمالية الغربية من الصين ، وانضموا رسمياً إلى الجيش الصيني .

وقعت هذه الحادثة في عام ٧٥٦م خلال الخلافة العباسية ، حيث كان إقليم تركستان بأكمله قد خضع للحكم الإسلامي ودخل أتراك تركستان جميعهم في الإسلام وأصبحوا جزءاً من الجيش الإسلامي . وكان جميع أولئك الجنود الذين ذهبوا إلى الصين كانوا من الأتراك .

وقد بنى لهم الإمبراطور دار ضيافة خاصة ، وأعلن في جميع المدن أن هؤلاء المسلمين الذين أظهروا شجاعتهم في الحرب هم ضيوف ملك الصين ، وسيقيمون في دار الضيافة التي اشتملت أيضاً على مكان لعبادتهم . ونتيجة لذلك ، لم يعد هؤلاء إلى وطنهم ، بل تزوجوا من نساء صينيات واستقروا هناك . وفي ذلك الوقت كانت الخلافة العباسية في بغداد تحت حكم الخليفة أبي جعفر المنصور .

ثم في الفترة ما بين عامي ٨٤١م و ٨٤٧م ، في عهد الإمبراطور ووتسونغ (Wuzong) ، هاجر آلاف المسلمين من تركستان إلى الصين وطلبوا من إمبراطور الصين إدراجهم ضمن رعاياه . فقبل إمبراطور الصين طلبهم وخصّص لهم مقاطعتي غانسو وشنشي لسكناهم ، وتزوج هؤلاء أيضاً من نساء صينيات .

وبعد ذلك ، عندما قامت حكومة المغول في الصين عام ١٢١٥م ، تدفقت أعداد كبيرة من المسلمين الأتراك والتتار إلى الصين ، فتوزعت واستقرت تجمعاتهم السكانية في مقاطعات نينغشيا ، غانسو ، وشنشي ، وشاندونغ ، وجيهول ، وتشيلي . بل وأصبحوا يمثلون الأغلبية في مقاطعات غانسو ، وشنشي ، وجيهول ، ونينغشيا .

وفي عام ١٣٦٩م بدأ حكم سلالة مينغ التي حكمت الصين لما يقرب من ٣٠٠ عام حتى عام ١٦٤٤م . ويرى العديد من المحققين والباحثين أن مؤسس سلطنة مينغ ، " تشو يوان تشانغ " (Zhu Yuanzhang) ، كان مسلماً ، وكان المسلمون الصينيون يطلقون عليه لقب " الخليفة " ، وكانت زوجته مسلمةً أيضاً . والحي الذي ولد فيه لم يكن يسكنه سوى المسلمين ، وجميعهم يضعون كلمة " تشو " قبل أسمائهم . وكان جميع مستشاري تشو يوان تشانغ ووزرائه وكبار قادته العسكريين من المسلمين ، وكان يواظب على الذهاب إلى المسجد ويؤدي الصلاة فيه .

وبعد تسلمه الحكم مباشرةً ، أصدر أمراً ببناء مسجد ، وعند

اكتمال بناء المسجد ألقى قصيدةً تتكون من مائة كلمة صينية أشاد فيها بالإسلام وبنبي الإسلام إشادةً كبيرةً . وكان مسلماً من أصل صيني ، وكان خلفاؤه أيضاً مسلمين ، وبذلك كان عهد سلطنة مينغ يمثل فترة الحكم الإسلامي في الصين .

خلال هذه الفترة ، لم يقتصر مشاركة المسلمين على الوظائف العسكرية فحسب ، بل أظهروا جدارتهم وكفاءتهم الكاملة في المجالات الحضارية والاجتماعية والتعليمية . وبأمر من الملوك ، تُرجمت العديد من الكتب العربية في العلوم والفنون إلى اللغة الصينية ، مما يثبت أن العلوم والفنون الإسلامية حظيت بأهمية خاصة في عهد مينغ ، وكان ملوك ذلك العصر يقدمون المساعدة والدعم الممكن لنشرها وتطويرها .

وفي عام ١٦٤٤م ، استولت سلالة مانتشو (سلالة تشينغ) على عرش الصين ، وحكمت البلاد لمدة ٢٦٧ عاماً حتى عام ١٩١١م . ومع بدء حكم هذه السلالة ، بدأت مرحلة من الابتلاء والمحن بالنسبة للمسلمين الصينيين ؛ حيث جُرِّدوا من جميع أشكال الحرية الفكرية والعملية ، وتُمّ إبعادهم وحرمانهم من كافة المناصب والرتب السابقة .

وإلى جانب ذلك ، صُبّت عليهم ألوانٌ من البطش والاضطهاد الشديد ، وفُرِضت القيود على تعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية . وعندما ضاق المسلمون ذرعاً بهذه المظالم ولجأوا إلى خيار المقاومة ، جرت عمليات اعتقال واسعة النطاق في صفوفهم ، ووجهت إليهم تهم التمرد وإثارة الفتن .

في الواقع ، كان المانتشو يمثلون أقليةً في الصين ، فاتبعوا سياسة " فرِّق تسُد " لإيجاد عداء شديد بين المسلمين وأقوام الهان الصينية . وبناءً على ذلك ، استخدموا جنوداً من قومية الهان لقمع المسلمين ، ونجحوا بذلك في إشعال عاطفة العداوة والبغضاء بين الهان والمسلمين .

يطلق الصينيون على المسلمين اسم " هوي تشي " (Hui Chi) أو " هوي هوي " (Hui Hui) ؛ وذلك لأن أول قبيلة صينية اعتنقت الإسلام كان اسمها " هوي تشي " ، ومن ثم بدأ الصينيون بإطلاق هذا الاسم على جميع المسلمين . وفيما بعد ، عدّل المسلمون لفظ " هوي تشي " إلى " هوي هوي " ، ومعناه : الجامع بين الروحية والمادية ، وبذلك يعبر هذا اللفظ عن

مفهوم " المسلم " تعبيراً كاملاً .

ووفقاً للتقسيم العرقي الرسمي في الصين ، يسكن في الصين كلها ست وخمسون مجموعة عرقية وعشر مجموعات جنيسة منها مسلمة ، ومن بينهما ثلاث مجموعات منها ذات كثافة سكانية عالية .

(١) المسلمون الهويون الذين يعدون مجموعةً جنسيةً مستقلةً في الصين إنهم ينتمون إلى أصول صينية أو عربية يبلغ عددهم وفقاً للإحصائيات الرسمية الحالية إلى خمسة عشر مليون نسمة . يمكن رؤية هؤلاء المسلمين في كل مدينة وإقليم في الصين ، وهم يتمتعون برغد العيش ، وقد أنشأوا شبكةً واسعةً من المطاعم الإسلامية في جميع أنحاء الصين . يضع رجالهم القلانس البيضاء ، بينما ترتدي نساؤهم الحجاب . وهؤلاء المسلمون هم أحفاد العرب الذين دخلوا الصين من الجهة الجنوبية الشرقية ، وأحفاد قومية الهان الصينية الذين اعتنقوا الإسلام على أيديهم .

(٢) المسلمون الإيغور (الأتراك) : يبلغ عددهم حسب الإحصاء الرسمي نحو ١٤ مليون نسمة ، وتتركز غالبيتهم العظمى في مقاطعة سينكيانغ (شينجيانغ) . وهؤلاء الإيغور هم في الأصل مسلمون من أصول تركية يستوطنون تركستان منذ آلاف السنين ، وهي موطنهم الأصلي . وقد استولت حكومة المانتشو الصينية على وطنهم ، مما أدى إلى خضوعهم للحكم الصيني .

(٣) المسلمون الكازاخ : يبلغ عددهم طبقاً للإحصاء الرسمي نحو مليوني نسمة ، وتنتشر تجمعاتهم السكانية في مقاطعات غانسو ، وشنشي ، وسينكيانغ ، وغيرها . وهؤلاء الكازاخ هم في الأصل من المسلمين التتار الذين استقروا في تركستان الشرقية منذ قرون ، وتم توزيعهم ونشرهم الآن في مناطق مختلفة من الصين .

وإلى جانب هذه المجموعات الثلاث ، توجد سبع مجموعات عرقية أخرى للمسلمين ، وهي : الدونغشيانغ ، والكرغيز ، والسالار ، والتاجيك ، والأوزبك ، والباوان ، والتتار ، وجميع هذه القوميات مسلمة بالكامل .

على كل حال ، ومن خلال تقويم واقعي وشامل ، يمكن القول بكل يقين إنه ما يزال يعيش في عموم الصين اليوم ما لا يقل عن ٥٠ مليون

مسلم ، في حين تشير الإحصائيات الرسمية الحكومية إلى أن عدد المسلمين يبلغ ٢,٢٨ مليون نسمة فقط ، على الرغم من أن إحصاء عام ١٩٣٦م قدّر عددهم بـ ١,٤٨ مليون نسمة . وعندما يزور الزوار مناطق الصين المختلفة ويشاهدون التجمعات السكانية للمسلمين ، تبدو لهم الأرقام الرسمية مثيرةً للضحك والغرابة .

توجد تجمعات إسلامية في كل مقاطعة من مقاطعات الصين ، ولا تخلو أي مقاطعة صينية من الوجود الإسلامي . وفي الوقت الحالي ، تتركز أكبر كثافة عددية للمسلمين في مقاطعة يونان الواقعة في الجنوب الغربي من الصين والمتصلة لحدود ميانمار ، بينما تسجل مقاطعة سينكيانغ (شينجيانغ) أعلى نسبة مئوية للمسلمين ، وهي الواقعة في الشمال الغربي والمتصلة لقزاخستان وكرغيزستان .

يُطبق النظام الشيوعي في الصين منذ عام ١٩٤٩م ، حيث يحكم البلاد حزبٌ واحدٌ وهو الحزب الشيوعي الصيني ، ولا مجال لوجود أي حزب أو جماعة أخرى ، وبالتالي لا وجود للانتخابات الشعبية الديمقراطية .

ولا تُتاح في الصين حرية التعبير أو التظاهر ضد الحكومة على الإطلاق ؛ إذ قد تصل عقوبة الإدلاء ببيان مناهض للحكومة إلى الإعدام . وبعد عام ١٩٩٠م ، سقطت الشيوعية في روسيا ودول شرق أوروبا ، إلا أنها ما تزال قائمةً في الصين حتى اليوم ، وإن بدأ إظهار بعض المرونة والتساهل على الصعيدين الاقتصادي والديني .

وبعد عام ١٩٨٠م ، أبدت الحكومة الشيوعية الصينية بعض التسهيلات فيما يتعلق بالدين ، حيث سمحت للمسلمين بأداء الصلاة ، وإقامة الأذان ، وأداء فريضة الحج . ومع ذلك ، ما تزال هناك قيود عديدة قائمة ؛ مثل منع الأطفال دون سن الثامنة عشرة من دخول المساجد ، ومنع النساء من ارتداء البرقع في الأماكن العامة ، وتحظير إنجاب أكثر من طفلين . كما تستمر الإهانة الحكومية للشعائر الدينية والسخرية من الملتزمين دينياً ، غير أنه يتبين أن مثل هذه الممارسات تُمارس بشكل خاص ضد مسلمي تركستان الشرقية الذين يسعون للانفصال عن الصين ، بينما لا يُعامل المسلمون في المناطق الأخرى من الصين بهذه الطريقة .

المنهج الإنساني في دعوة الإمام الندوي

الأخ السيد عبد العلي الحسني الندوي *

بعد انقسام الهند وتفككها على أساس ديني ، بدأت الأوضاع تتحول إلى حالة من الاضطراب والتوتر ، حيث كانت الكراهية الطائفية قد تسربت إلى أعماق البلاد ، وألحق الاستقطاب المجتمعي أضراراً جسيمةً بالغة الخطورة بالنظام الوطني ، ومن ثم بدأت تتبلور بيئة يتخللها العداء الديني والعنف الناجم عن الاحتقان الطائفي ، لا سيما بهدف تشويه صورة الإسلام وتهميش المسلمين وإقصائهم اجتماعياً ؛ عند ذلك المنعطف الحاسم والمرحلة الحرجة العصيبة ، قام أحد أبرز الشخصيات الإسلامية العالمية ، سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، بإنشاء حركة قوية متدفقة بالحيوية والوئام الإنساني والحياد في التعامل مع البشر .

شعوره بالفراغ الدعوي والإنساني الهائل :

شعر الإمام الندوي أنه لا يوجد أحد على الساحة الهندية يجهر بصوته ضد الكراهية المنهجة التي سيطرت على البلاد كلها بوجه عام ، وعلى بعض بقاعها بوجه خاص ، كما لا توجد حركة أو منظمة على النطاق الوطني تجاهد ضد هذه البيئة المنزوعة من الإنسانية ، وتنهض لإيجاد الحلول التي تملؤها روح التضامن والتآخي البشري الطبيعي ، في وقت كانت فيه الأفكار المتطرفة تُروَّج وتنتشر بشكل منظم .

وعبّر رحمه الله عن خلفية إنشاء الحركة ، فقال مرةً : " بعد انتظار مديد استمر نحو ربع قرن تقريباً ، لشخصية أو حركة تتصدى لمكافحة الاتجاهات الطائفية السلبية الهدامة ، وتقوم من أجل إيجاد وعي إنساني شامل بين المسلمين وغيرهم ، والذود عن المثل الخلقية ، والتعامل الهادئ بين مختلف طبقات الدولة ، واحترام كرامة الإنسان ، وتعزيز

* الباحث في مركز الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي براي بريلي ، الهند .

التعاون البشري الفطري .

وأضاف قائلاً : مع أنني كنت منقطعاً إلى الدراسة والكتابة ، فساورني في بادئ الأمر بعض التردد إزاء الخوض في النشاطات الحركية ، وأيضاً لأنني رجل شديد الانتماء إلى الدين ، قوي الصلة بأحكامه ، فكان مبعث قلقي أيضاً أن بعض غير المسلمين قد يظنون أنني أبتغي وراء ذلك مكاسب دينيةً ، ولكن حينما لم أجد حركةً مخلصةً لسد هذا الفراغ الهائل ، قمتُ بنفسي بهذا الصدد " .

ومن هناك ، وبعد مسيرة ناجحة امتدت نحو عقدين من الزمن ، من التجمعات والملتقيات بين ممثلي الأديان المختلفة في مدينة لكناؤ والمناطق المجاورة لها ، أُرسيت أسس " منتدى رسالة الإنسانية " في مدينة الله آباد التاريخية العريقة ، سنة ١٩٧٤م ، بأهداف كما يلي :

الأهداف :

(١) تنشيط الروابط الشعبية ، وعقد المؤتمرات والاجتماعات ، ونشر الكتيبات والمنشورات النافعة بمختلف اللغات ؛ من أجل إيجاد جو من الحب والتفاهم والتعاون على أساس العلاقات الإنسانية البحتة والأواصر الوطنية الهندية ، ومكافحة الاتجاه نحو الانحلال الخلقي .

(٢) تعريف الإنسانية التائهة المتخمة بغرض الحياة الحقيقي السامي النبيل ، ومتعتها الأصيلة ، عبر الخدمات الإنسانية والأعمال الخيرية .

(٣) تطهير المجتمع من الرشوة والأثرة والاحتكار والطائفية واللاأخلاقية والاستغلال الاقتصادي ، وشنّ حملة ضد المجون والدعارة بكل قوة وشدة .

(٤) بذل الجهود لمحو التقاليد الظالمة والطقوس القاسية القاهرة .

(٥) إسعاف الطبقات الفقيرة المضطهدة والمتخلفة والملهوفة في المجتمع ، بغض النظر عن دينها وانتمائها القومي أو العنصري .

(٦) إيجاد الجدية والكفاءة العالية ، وإشعال عواطف خدمة البلاد والمجتمع في الشباب بصفة عامة ، والطلبة بصفة خاصة ؛ من أجل صيانة البلاد من الأخطار الناشئة عن انحرافات النشء الجديد .

(٧) بذل المحاولات ، بقدر الإمكان ، لخلق جو أخوي متناصر متعاطف .

إزالة بعض أوجه الالتباس :

تخوّف بعض الناس من أن هذه المنظمة ربما تؤول في نهاية المطاف إلى أن تصبح منظمةً لوحدة الأديان . وفي إحدى المقابلات التي أجراها الشيخ محمد إسحاق جليس الندوي مع سماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي رحمه الله رحمةً واسعةً ، طرح الشيخ إسحاق جليس على سماحته هذه الشبهة ، فردّ عليها قائلاً : " إن هذه المنظمة ليست منظمةً لوحدة الأديان ، بل هي منظمة لوحدة الإنسان " .

ومع ذلك ، كان بعض الناس الذين ينتمون إلى الحركات والمنظمات الأخرى يتحفّظون على هذه الحركة ، خشيةً أن تكون حائلاً دون تقدم الحركات الأخرى ، أو عائقاً في مسيرتها ، وأن تؤدي إلى ابتعاد المنتسبين إلى تلك الحركات عنها .

فردّ سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي عليهم قائلاً : إن حركة رسالة الإنسانية حركة مساندة ومساعدة للحركات والمنظمات والمعاهد والمساجد والمدارس كلها ، وإنها تدخلها في حصار واسع وحصين ، حتى لا تستطيع القوى الباطلة التسلل إليها وإلحاق الأضرار بها . ذلك أن الله سبحانه وتعالى وعد كلَّ من ينفع الناس ، روحياً ومادياً ، بالبقاء الأعزّ والأكرم ، وصرّح بذلك في كتابه العزيز ، حيث قال : (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) .

فإذا أصبح المسلمون نافعين للإنسانية جمعاء ، كُتب لهم البقاء الأعزّ والأكرم في مختلف المجتمعات ، سواء أكانت مجتمعات مسلمة أم

متعددة الأديان .

الاستنباط الدعوي التطبيقي الفريد :

كان الشيخ أبو الحسن علي الندوي رحمه الله يستنبط من الآية الكريمة : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) .

أن الدعاة في بيئة الهند المتحدِّية ينبغي لهم أن يحسنوا فقه هذا الخطاب وعمقه ، وأن يتجهوا إلى تبنّي المنهج الدعوي الواقعي في ضوء هذه الآية الكريمة .

ومن أبرز معالم فهم الدعوة في سياق هذه الآية أن تكون الدعوة بالحكمة لا بالصدام ؛ إذ كان يرى أن الداعي المسلم في مجتمعٍ متعدّد كالهند لا يفتتح دعوته بالخصومة ، بل يستهلها بالدعوة إلى كلمةٍ سواء بأسلوبٍ هادئٍ كريم .

وكلمة سواء في الهند إنما هي الإنسانية والمحبة ؛ فهي المحطة المشتركة التي ينبغي لنا أن نلتقي عندها جميعاً ، ليتقارب بعضنا من بعض ، ويصغي كلٌّ منّا إلى الآخر . فكلمة سواء إنما هي أساسٌ مشتركٌ للدعوة لا للتنازل .

وقد كانت هذه الكلمة بين المسلمين وأهل الكتاب في زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هي التوحيد ، وعدم الخضوع والاستسلام لغير الله ؛ غير أن المجتمع الهندي المتنوّع ، الذي تتعايش فيه دياناتٌ مختلفة ، وأغلبيتها من الهندوس المنغمسين في الشرك ، يقتضي أن تكون هذه الكلمة هي " الإنسانية " بوصفها مدخلا يصلح لبيئاتٍ متجردة عن التوحيد منحازة إلى الشرك متطرفة فيها ومجتمعات متعددة الأديان كالهند ، حتى يكون موضوع الإنسانية مفتاحاً لفتح أبواب القلوب المغلقة .

ولكن من المهم ألاّ نذوب فيهم إلى حدٍّ نميل فيه إلى شعاراتهم الشركية الخرافية ، فلا بدّ من توخّي الحذر في هذا الباب .

من محراب الفقه إلى آفاق الأدب

(تجلّيات المصطلح الفقهي في الخطاب الأدبي العربي)

الباحث عبد الرحمن مبارك *

قد تحولت المفردات اللغوية من معانيها الأصلية اللغوية بدور الفقه في مجال اصطلاحاته وتأصلها في المعاجم والكتب اللغوية ، وصارت أداة تعبيرية حية في شتى مجالات الحياة ، وشاع استعمالها في كل المجالات التي تتداخل فيها اللغة اقتصادياً واجتماعياً وأدبياً وحكومياً وثقافياً إلى ما تتعلق بها اللغة لتأدية المعاني والمفاهيم في تلك الميادين نتيجة للمكانة التي احتلها الفقه الإسلامي في حياة المسلمين ، وما رافقه من نشاط علمي وتعليمي واسع عبر العصور .

ويمتاز من تلك الميادين ميدان الأدب العربي من حيث إنه أسطوانة تطور اللغة العربية بأن ظل على امتداد تاريخه وثيق الصلة بالعلوم الإسلامية ، يستمد منها موضوعاته وصوره وألفاظه وأساليبه ، وعلى هذه الميزة ، يختص بحث شيوع المصطلحات الفقهية وأثرها في الأدب العربي من حيث إنها جزء مهم في تأثيرها في اللغة العربية .

والأدباء يستعملون أحياناً هذه المصطلحات الفقهية استعمالاً فقهياً محضاً ، وأحياناً يعيدون توظيفها وفق مقتضيات السياق الأدبي مستفيدين مما تحمله من رصيد دلالي وثقافي راسخ في أذهان المتلقين .

الأثر اللغوي والبلاغي للمصطلحات الفقهية في الشعر العربي :

تأثر الشعر العربي بالعلوم الإسلامية تأثراً عميقاً ، وظل على امتداد عصوره يتفاعل مع الثقافة الدينية بمختلف فروعها ، وفي مقدمتها الفقه الإسلامي . وخلال هذا التفاعل اللغوي دخل عدد كبير من المصطلحات الفقهية إلى الخطاب الشعري ، حيث لم تُستعمل بوصفها ألفاظاً علمية فحسب ، بل أصبحت أدوات تعبيرية أسهمت في توسيع الدلالة وبناء الصورة الفنية وإثراء المعجم الشعري .

* كلية السنية العربية – جامعة كاليكوت – الهند .

واختلفت طرائق الشعراء في توظيف هذه المصطلحات ؛ فمنهم من حافظ على دلالتها الاصطلاحية ، ومنهم من نقلها إلى دلالات مجازية ورمزية تتلاءم مع أغراض الشعر وسياقاته . ولم يختص في هذا التوظيف شعراء خاصة في أي عصر أو أي بلدان أو أي أنواع ، بل شاعت شيوع الملح في المرق .

يقول الشاعر العباسي ابن الرومي [1] في ديوانه :

وادخر من منطقي أحدوثة تنشر الذكر إذا الذكر انقرض
لا يراها ساقط نافلة ويراها الحرّ فرضا مفترض [2]
واتخذني جنة بل نجدة لا تجدني في الملمّات حرض

يوظف الشاعر ابن الرومي في هذا النص مصطلحي الفرض والنافلة ، وهما من المصطلحات التي اكتسبت في الفقه الإسلامي دلالتين اصطلاحيتين واضحتين ، يقول الخطيب الشربيني شارحاً لفظ النفل من منهاج الطالبين : وهو لغة الزيادة ، واصطلاحاً : ما عدا الفرائض ، سمي بذلك لأنه زائد على ما فرضه الله تعالى [3] . فعلى الرغم من أن اللفظين لهما أصل لغوي سابق على الاستعمال الفقهي ، فإن اقترانهما في الذهن العربي بهذه الدلالات الاصطلاحية جعلهما يحملان حمولة دلالية خاصة تجاوزت معناهما المعجمي .

ومن الشواهد لانتقال المصطلحات الفقهية إلى الخطاب الشعري قول الشاعر ابن نباتة المصري [4] :

تيمَّمتُ أجواداً وفاضت بحورُكم فلم يبقَ عندي رخصةٌ في التيمم [5]

يُوظِّف الشاعر ابن نباتة المصري في هذا البيت لفظ التيمم ، وهو من المصطلحات الفقهية المشهورة . وأصل كلمة التيمم في اللغة القصد ، ومنه قوله تعالى : (وَلا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنهُ تُنفِقُون) [6] . ثم خُصَّ هذا اللفظ في

---

[1] أبو الحسن علي بن العباس بن جريج المعروف بـ ابن الرومي (٢٢١ – ٢٨٣هـ/٨٣٦ – ٨٩٦م) .
[2] ابن الرومي ، ديوان ابن الرومي : ١٤٠٧/٤ .
[3] الخطيب الشربيني ، مغني المحتاج : ٣٣٢/١ .
[4] أبو بكر جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري (٦٨٦ – ٧٦٨هـ = ١٢٨٧ – ١٣٦٦م) .
[5] ابن نباتة المصري ، ديوان ابن نباتة المصري : ٤٧٠ .
[6] القرآن الكريم ، سورة البقرة : ٢٦٧ .

الاصطلاح الفقهي بالدلالة على إيصال التراب إلى الوجه واليدين بدلاً عن الوضوء والغسل أو عضو منها بشرائط مخصوصة [1] ،واستعمل ابن نباتة هذا المصطلح في سياق المدح ، فاستعمل الفعل " تيممت " بمعناه اللغوي ، وهو القصد ، إذ قصد الممدوحين رجاء عطائهم ، ثم بنى على ذلك قوله : " فلم يبق عندي رخصة في التيمم " ، فانتقل إلى المعنى الفقهي للتيمم الذي شُرع رخصةً عند فقد الماء ، وشبَّه جود الممدوحين بالماء الذي ترتفع به الحاجة إلى التيمم ، فكأن فيض عطائهم أغناه عن الرخصة كما يغني وجود الماء عن التيمم في الأحكام الشرعية .

ولفظ التيمم نفسه في قول الشاعر لسان الدين ابن الخطيب [2] في الوقيعة الحربية في الروم عام (٧٤٠هـ) [3] يمدح السلطان ويصف الأسطول المتجه إلى قتال العدو من الشواهد التي يظهر فيها توظيف المصطلحات الفقهية في الشعر العربي :

يمّمتها والماء موجود لها نحو العدو فكان خير تيمم [4]

بنى الشاعر ابن الخطيب لفظ التيمم على المعنى الاصطلاحي ، فقال : يممتها والماء موجود لها ، فأثبت وجود الماء مع أن وجوده يمنع مشروعية التيمم في الفقه ، غير أن مراده ليس بيان الحكم الشرعي ، بل وظّفه في بناء صورة بلاغية ، فاستعمل الفعل " يممتها " بمعناه اللغوي أي التوجه والقصد ، ثم أتبعه بلفظ التيمم بمعناه الفقهي ، فاستحضر في ذهن المتلقي الحكم الشرعي المعروف ، ثم خالف مقتضاه عمداً لإبراز منزلة المقصود حتى كأن التوجه إلى قتال العدو عبادة مستقلة تستحق أن تسمى " خير تيمم " ، وإن وجد الماء الذي تنتفي معه مشروعية التيمم حقيقة .

ومن الشواهد الدالة على انتقال المصطلحات الفقهية إلى الخطاب

---

[1] الخطيب الشربيني ، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : جزء ١٤١/١ – ١٤٢ .

[2] أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَلِي بْنِ أَحْمَدَ اَلسَّلْمَانِي اَلْخَطِيبِ المعروف بِلِسَانِ الدِّينِ ابْنِ اَلْخَطِيبِ والمُلقب بـ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ وَذِي اَلْعُمْرَيْنِ وَذِي اَلْمِيتَتَيْنِ ، (٧١٣هـ/١٣١٣م – ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .

[3] عبد الأمير حسين علوان الخزاعي ، البحرية الإسلامية في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة : ص : ١٨٠ .

[4] ابن الخطيب ، ديوان ابن الخطيب : ٥٣٧/٢ .

الشعري قول الشاعر العباسي أبي نواس [1] :

أؤمُّ فـقـيهاً ليس رأيي بفقهِهِ ولـكـنْ لربِّ المُردِ مجتمعُ الشملِ
فَكمْ أمردٍ قد قال والدُه له عليك بهذا ، إنّه من أُولي الفضلِ [2]

استعمل الشاعر لفظ الفقيه ، وهو من المصطلحات التي استقرت دلالتها في العلوم الإسلامية . فالفقه في اللغة هو الفهم والإدراك ، كما في قوله تعالى : (وَلَكِن لا تَفقَهُونَ تَسبِيحَهُم) [3] ، أي لا تفهمونه . فانتقل هذا اللفظ في الاصطلاح الفقهي إلى معنى أخص من معنى لغوي ، فعرفه الأصوليون بأنه العلم بالأحكام الشرعية العملية الناشئة عن الاجتهاد [4] ، فأصبح لقب الفقيه يطلق على العالم المتخصص في هذا العلم .

واستعمل الشاعر أبو نواس هذا المصطلح بمعناه الاصطلاحي ، لا بمعناه اللغوي ، فلم يرد مجرد الرجل الفَهِم أو الذكي ، بل قصد العالم بالفقه الذي يقصده الناس للتعلم أو للعبادة . وقوله : " ليس رأيي بفقهه " قرينة لقصده المعنى المصطلحي ، لأن إضافة الفقه إلى الشخص تدل على اختصاصه بهذا العلم ، وهو الاستعمال الشائع في البيئة العلمية الفقهية الإسلامية .

والأمثلة تظهر أثر المصطلحات الفقهية ووسعه من الشعر الديني والزهدي إلى مختلف الأغراض الشعرية ، منها المدح والغزل كما ظهر في شعر أبي نواس ولسان الدين بن الخطيب وغيرهما ، وهي دلالة على أن هذه المصطلحات أصبحت جزءاً من المعجم الأدبي المشترك وأن حضورها في الشعر لم يعد مرتبطاً بطبيعة الموضوع بل بقدرتها على أداء وظائف لغوية وبلاغية متنوعة .

الأثر اللغوي والبلاغي للمصطلحات الفقهية في النثر العربي :

لم يقتصر أثر المصطلحات الفقهية على الشعر العربي فقط ، بل امتد مفاعلاتها ومعاملاتها إلى النثر بمختلف فنونه كالمقامات والرسائل والخطب والوصايا والتوقيعات وغيرها من ضروب الكتابة الأدبية .

واتخذ الأدباء توظيف المصطلحات الفقهية في النثر العربي صوراً

---

[1] الحسَنُ بن هانئ المعروف بأبي نُوَاس البصري (١٤٥ – ١٩٨هـ/٧٦٢ – ٨١٣م) .
[2] أبو نواس ، ديوان أبي نواس : ٤٦٥ .
[3] القرآن الكريم ، سورة الإسراء : ٤٥ .
[4] ابن حجر الهيتمي ، تحفة المحتاج في شرح المنهاج : ٣٣/١ – ٣٤ .

متعددةً كما في النظم العربي ، فتارةً استعملها الأديب بدلالتها الاصطلاحية لتضعيف الدقة على المعنى وتارةً نقلها إلى دلالات مجازية ورمزية مستثمراً ما تحمله من مفاهيم شرعية وثقافية .

يقول العلامة الحريري [1] في مقامته السابعة والعشرين المقامة البدوية : " وسريتُ ليلتي جمعاء أجوب البيداء وأقتري كل شجراء ومرداء إلى أن نشر الصبح راياته وحيعل الداعي إلى صلاته فنزلت عن متن الركوبة لأداء المكتوبة " [2] .

استعمل الأديب في هذا النص مصطلحين فقهيين هما حيعل والمكتوبة ، وقد وظّف الحريري هذين الكلمتين في سياق أدبي مع احتفاظهما بدلالتهما الاصطلاحية الفقهية .

فأما الحيعلة ، فهي في أصلها اللغوي مصدرٌ منحوت من صيغ الأذان : حي على الصلاة – حي على الفلاح [3] ، واستعمل الحريري الفعل " حيعل " في قوله : " حيعل الداعي إلى صلاته " ، مستثمراً هذا المصطلح الفقهي للدلالة على ابتداء الأذان ، وأما لفظ المكتوبة ، فأصلها اللغوي اسم مفعول من الفعل كتب ، بل غلب استعمالها في الاصطلاح الفقهي على الصلاة المفروضة [4] ، وقد استعمل الحريري هذا المصطلح في قوله : " فنزلت عن متن الركوبة لأداء المكتوبة " ، قاصداً به الصلاة المفروضة ، لا مجرد اسم المفعول من كَتَبَ ومعناها العام . واقتران اللفظ بالأذان في صدر العبارة قرينة لإرادة الحريري المعنى المصطلحي ، واستعمال هذين المصطلحين في هذا السياق أكسب النص إيجازاً ودقةً في التعبير ، فالمصطلحات الفقهية أصبحت كذلك عنصراً من عناصر البناء اللغوي والبلاغي في النثر العربي .

ومن الشواهد التي تبرز أثر المصطلحات الفقهية في النثر الأدبي ما قال العلامة الحريري [5] في مقامته الرابعة والأربعين المقامة الشتويّة ، إذ

---

[1] أَبُو مُحَمّدٍ القَاسِمُ بْنُ عَلِيّ بْنِ مُحَمّدِ بْنِ عُثْمَانَ الحَرِيرِيُّ البَصْرِيُّ الحَرَامِيُّ المعروف بالحرِيرِيّ (٤٤٦هـ – ٥١٦هـ) .

[2] الحريري ، كتاب المقامات للحريري : ٣٢٢/١ .

[3] الخطيب الشربيني ، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : ٢١٨/١ .

[4] المصدر السابق : ١٨٨/١ .

[5] أَبُو مُحَمّدٍ القَاسِمُ بْنُ عَلِيّ بْنِ مُحَمّدِ بْنِ عُثْمَانَ الحَرِيرِيُّ البَصْرِيُّ الحَرَامِيُّ المعروف بالحرِيرِيّ (٤٤٦هـ – ٥١٦هـ) .

يقول : " وَأَخذَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَا يَشولُ بِلِسَانِهِ وَيَنْشُرُ ما في صوانه مَا عَدَا شَيْخاً مُشتَهباً فَوْدَاهُ مُخْلوْلِقاً بُرْدَاهُ فَإِنَّهُ رَبَضَ حَجْرَةً وَأَوْسَعَنَا هِجْرَةً ، فَغَاظَنَا تَجَنُّبُهُ الْمُلْتَبِسُ موجِبُهُ المَعْذُورُ فِيهِ مُؤَنِّبُهُ ، إلا أنّا أَلَنَّا لَهُ الْقَوْلَ وَخَشِينَا في المسألة العَوْل " [1] .

وهنا وظف الحريري هذا المصطلح في سياق أدبي حين قال : " وخشينا في المسألة العَول " ، فظاهر العبارة يدل على خشيتهم أن يطول الحديث مع الشيخ أو يزداد الجدال إلا أن الشاعر لم يكتفِ بالتعبير عن معنى الزيادة بلفظها المباشر ، بل استعار مصطلح العَول بما يحمله من دلالة فقهية خاصة .

فالفقه الإسلامي لم يقتصر أثره في اللغة العربية على وضع المصطلحات وتقعيدها ، بل أسهم أيضاً في توسيع آفاقها التعبيرية وإمداد الأدباء بمعجم اصطلاحي غني استطاعوا أن يوظفوه في بناء صورهم الفنية وصياغة معانيهم الأدبية وتقوية أساليبهم الخطابية .

المصادر والمراجع :

١. ابن الرومي ، أبو الحسن علي بن العباس بن جرج (٨٩٦م) ، (١٣٢٤هـ) ديوان ابن الرومي ، القاهرة : دار الكتب والوثائق القومية .
٢. ابن نباتة ، الشيخ جمال الدين المصري الفاروقي (٧٦٨هـ) ، (د ت) ، ديوان ابن نباتة المصري ، بيروت – لبنان : دار إحياء التراث العربي .
٣. ابن حجر ، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، (١٩٨٣) ، تحفة المحتاج بشرح المنهاج ، مصر : المكتبة التجارية الكبرى .
٤. ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم ، (د ت) ، لسان العرب (الطبعة الأولى) ، بيروت : دار صادر .
٥. الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (٢٥٥هـ) ، (١٩٦٤م) ، كتاب رسائل الجاحظ ، القاهرة : مكتبة الخانجي .
٦. الحريري ، أبو محمد القاسم بن علي البصري (٥١٦هـ) ، (١٨٨٦م) . كتاب مقامات الحريري . بيروت : المطبعة الأدبية .

[1] الحريري ، مقامات الحريري : ٤٦٨/١ .

فارس القلم ورائد الصحافة العربية في الهند

الأخ صديق أحمد الندوي *

كان الشيخ السيد محمد الحسني يؤمن إيماناً راسخاً بأن الصحافة سلاح فكري لا يقل أهمية عن أي سلاح آخر في مواجهة الغزو الثقافي الغربي الذي كان يحاصر العالم الإسلامي في القرن العشرين . وقد انعكس هذا الإيمان العميق في مفهومه للصحافة الإسلامية الذي يختلف جوهرياً عن المفهوم الغربي القائم على الإثارة والتسلية أو حتى الخدمة السياسية . كان يرى أن الصحافة الإسلامية يجب أن تتمتع بأربع خصائص جوهريه : أولاً ، الجدية التامة في معالجة القضايا دون تسطيح أو مجاملة للقارئ على حساب الحقيقة . وثانياً ، النزاهة الكاملة في تقديم المعلومة والحكم بعيداً عن أي توجهات حزبية أو مصالح شخصية . وثالثاً ، الشجاعة في مواجهة الحكام والمحكومين على حد سواء دون مبالاة بأي إنذار أو تحذير . ورابعاً ، تقديم الحلول التطبيقية المدعّمة بالدلائل والوثائق والشواهد التاريخية ، إذ كان يرى أن الصحافة لا ينبغي أن تكتفي بعرض المشكلة وتتركها معلقة ، بل يجب أن تقدّم لها حلاً تطبيقياً إسلامياً واضحاً . وهذا ما جعل مقالاته تبدأ دائماً بتشخيص دقيق لداء الأمة ثم تنتهي بوصفة علاجية مستمدة من روح الإسلام وتعاليمه .

وقد عبر عن هذه الرؤية في أول افتتاحية له في مجلة " البعث الإسلامي " حين نبّه إلى أن طلبة العربية يحتاجون إلى العناية بالصحافة العربية والأدب العربي الحديث لتكون أداة دعوة وإصلاح لا مجرد ناقلة أخبار . وكتب في هذا الصدد : " نريد من طلبة المدارس العربية أن يعرفوا قيمة أنفسهم ويعتزوا بدينهم وكرامتهم ويودّوا واجبهم نحو هذا المجتمع الذي يعيشون فيه ، هذا الواجب واجب ثقيل ، والطريق محفوف بالأشواك ، والمرمى بعيد ، ولكن لا بد لهم من هذا الطريق ولا بد لهم أن يقتحموا هذه العقبة ويذلّلوا صعابها " [1] . و " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت

* علي جراه ، الهند ، snadwi3@gmail.com

[1] مجلة البعث الإسلامي ، لكناؤ : مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء ، العدد الأول ، أكتوبر ١٩٥٥م ، ص ٤ .

أقدامكم " [1] ، وقال مستعرضاً للصحافة الإسلامية ودورها في زمانه " واجب صحافتنا العربية الإسلامية أن نستعرض شعبها وبلادها بشجاعة . . . فعلى الصحافة الإسلامية العربية أن تعرف دورها النادر التاريخي في هذه الحقبة من الزمان " [2] .

حملت افتتاحيات الشيخ محمد الحسني في مجلة " البعث الإسلامي " وصحيفة " الرائد " على مدى أعوام عطائه محاور متنوعة عكست شمول رؤيته ودقة تتبعه لقضايا الأمة ، وقد عرفه بها وأحبه ألوف من العاملين في مجالات الدعوة الإسلامية والفكر الإسلامي ، وأحبّه الشباب الإسلامي في مختلف الديار والأقطار بوجه خاص ، حتى كان كل عامل في الدعوة الإسلامية من الجيل الصاعد يعرفه ، وكل قارئ للصحافة الإسلامية يُكبره ويُجلّه [3] .

فمن جانب العقيدة والإيمان كتب افتتاحيات من قبيل " الإخلاص والنظام " [4] و " بين الدنيا والآخرة " [5] في حلقتين يعالج فيها صلة المسلم بربه وموقفه من الدنيا والآخرة . ومن جانب القضايا الفكرية والدعوية تصدّى لقضايا التجديد والبعث في افتتاحيات " نحو بعث إسلامي جديد " [6] و " الدعوة الإسلامية في العالم " [7] ، داعياً إلى تجديد الفكر الإسلامي من منابعه الأصيلة . وفي محور القومية والوحدة العربية كتب " القومية ما هي ؟ " [8] و " مرحبا بالوحدة العربية " [9] و " دور الأمة العربية في الصراع العالمي " [10] و " البعث العربي أو البعث الإسلامي " [11] ، مبيّناً موقفه النقدي

---

[1] سورة محمد ، الآية ٧ .
[2] راجع للتفصيل ، صحيفة الرائد ، عدد خاص ١٦ أكتوبر وأول نوفمبر ١٩٧٥م ، تحت عنوان " واجب الصحافة الإسلامية " ، ص ١٣ .
[3] المصدر نفسه ، ص ٩٦ .
[4] مجلة البعث الإسلامي ، العدد ٣ ، ديسمبر ١٩٥٥م ، ص ٢ .
[5] مجلة البعث الإسلامي ، العدد ٧ — ٨ — ٩ ، أبريل — مايو — يونيو ١٩٥٦م ، ص ٢ .
[6] مجلة البعث الإسلامي ، العدد ٥ ، فبراير ١٩٥٧م ، ص ١ .
[7] مجلة البعث الإسلامي ، العدد ١١ ، أغسطس ١٩٥٦م ، ص ١ .
[8] مجلة البعث الإسلامي ، العدد ٢ ، نوفمبر ١٩٥٦م ، ص ١ .
[9] مجلة البعث الإسلامي ، العدد ٤ ، يناير ١٩٥٨م ، ص ١ .
[10] مجلة البعث الإسلامي ، العدد ٦ ، مارس ١٩٥٧م ، ص ١ .
[11] مجلة البعث الإسلامي ، العدد ٣ ، نوفمبر ١٩٦٣م ، ص ١

من القومية الضيقة ودعوته إلى رابطة الإسلام الجامعة . كما خصّ بداية كل عام بافتتاحيات استهلالية مثل " فاتحة العدد " [١] و " بين يدي العدد " [٢] و " تحية العام الجديد " [٣] و " هدية العام الجديد " [٤] ، يستقبل فيها قراءه برسالة تجديد العزم والهمة . ولم يغفل قضايا العالم الإسلامي الكبرى ، فكتب عن الجزائر في افتتاحية " الجزائر لها لله وحده " [٥] ، وعن الراهن السياسي في " العالم العربي في الامتحان " [٦] و " سؤال حائر يحتاج إلى جواب " [٧] .

عاصر محمد الحسني فترةً ازدهرت فيها الدعوات القومية العربية ، وتبنّاها كثير من المثقفين ووسائل الإعلام بوصفها سبيلاً إلى النهضة والتحرر . غير أنه اتخذ موقفاً مغايراً ، مؤكداً أن الإسلام هو الأساس الذي تقوم عليه وحدة المسلمين ، وأن الروابط القومية الضيقة قد تؤدي إلى إضعاف الأخوة الإسلامية وتمزيق وحدة الأمة .

وقد عبّر عن هذا الموقف بوضوح في كتاباته بمجلة " البعث الإسلامي " ، دون أن يتأثر بالضغوط الفكرية السائدة آنذاك ، مما يدل على ثباته على مبادئه وشجاعته في الدفاع عن قناعاته الإسلامية . وفي هذا السياق ، يشير الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي إلى هذه السمة بقوله : " إنه وجد في المجلة مجالاً واسعاً لدعم الحركة الإسلامية ونشر الأفكار البنّاءة والآراء الصريحة . . . ولم يلن موقفه ولم يتنازل عن الصراحة ، بل ظل صامداً في وجه كل طوفان وإعصار وإرهاب ، وما رضي بالمساومة ما دام الحق معه " [٨] . ويبرز هذا القول مدى صلابته الفكرية وإخلاصه في الدفاع عن القضايا الإسلامية رغم التحديات المختلفة .

سمات أسلوبه الأدبي في الكتابة الصحفية :

اتسم أسلوبه الصحفي بجزالة الألفاظ وسلاسة العبارات وعمق

---

[١] مجلة البعث الإسلامي ، العدد ٢ ، نوفمبر ١٩٥٥م ، ص ٢ .
[٢] مجلة البعث الإسلامي ، العدد ٦ ، مارس ١٩٥٦م ، ص ٢ .
[٣] مجلة البعث الإسلامي ، العدد ١ ، أكتوبر ١٩٥٦م ، ص ١ .
[٤] مجلة البعث الإسلامي ، العدد ١ ، يناير ١٩٦٠م ، ص ١ .
[٥] مجلة البعث الإسلامي ، العدد ١٠ ، يوليو ١٩٥٦م ، ص ١ .
[٦] مجلة البعث الإسلامي ، العدد ٣ ، ديسمبر ١٩٥٦م ، ص ١ .
[٧] مجلة البعث الإسلامي ، العدد ١٠ ، يونيو ١٩٧٩م ، ص ٣ .
[٨] مجلة البعث الإسلامي ، العدد الأول ، أغسطس وسبتمبر ١٩٧٩م ، ص ٦ – ٧ .

الأفكار وروعة المعاني ، مع عناية واضحة بالمحسنات البلاغية كالسجع والازدواج والتوازن من غير تكلف أو تصنع . وكانت مقالاته تعكس شخصيته الفكرية ؛ فهي قوية في النقد ، رصينة في الحجة ، وعذبة في البيان ، كما تنوعت أساليبه بين الهجاء ، والمواجهة ، والإرشاد والتبشير والإنذار وفق مقتضيات الموضوع .

ومن أبرز خصائص كتاباته اعتماد التكرار والترديد لتأكيد المعاني وترسيخها في أذهان القراء . وقد اختلفت طبيعة مقالاته بين " البعث الإسلامي " و " الرائد " ؛ ففي الأولى عالج قضايا العالم الإسلامي بروح إصلاحية تجمع بين العاطفة والتحليل الموضوعي ، بينما غلب على مقالاته في " الرائد " الطابع الإيماني والتربوي ، مع إبراز معالم المنهج الإسلامي ونماذج من السيرة النبوية وحياة الصالحين . وقد أشاد الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي بمقالاته في البعث الإسلامي التي احتوى عليها " الإسلام الممتحن " ، فقال إنها : تجمع بينها وحدة فكرية مبدئية ، وشعور نفسي عميق ، ودراسة شاملة أمينة لواقع الأمة الإسلامية ، وجماعاتها ومدارسها الفكرية ومناهجها العلمية " [1] ، مما يدل على عمق رؤيته وصدق معالجته لقضايا الأمة .

كما تميزت كتاباته بقدرتها على تحفيز القارئ إلى العمل والتفكير ، وبث روح الأمل والتفاؤل مما جعلها مؤثرة في مختلف فئات المجتمع . وإلى جانب ذلك ، برع في الترجمة بين العربية والأردية ، وتميزت ترجماته بالدقة والسلاسة ونقل روح النص ، ونقل عدداً كبيراً من مقالات ومحاضرات عمه الشيخ أبي الحسن الندوي من الأردية إلى العربية بإتقان وأمانة .

خلاصة القول ، فإن الشيخ محمد الحسني يُعدّ من الشخصيات الجديرة بمزيد من الدراسة والبحث ، لما تركه من تراث فكري وصحفي يمثل صفحة مشرقة من صفحات الصحافة العربية في الهند ، ويقدم نموذجاً ملهماً في الجمع بين الرسالة الفكرية والعمل الإعلامي الهادف . رحمه الله رحمة واسعة وجعل ما خلفه في موازين حسناته إلى يوم الدين .

---

[1] محمد الحسني ، أضواء على الطريق ، رائي بريلي : مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، دار عرفات ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م ، ص ٦ – ٧ .

الشيخ المربي السيد على الهمداني : نبذة من حياته

الأخ ظهور أحمد شاه الندوي *

في القرن السابع الهجري ، كانت بلاد كشمير محاطةً من جميع جهاتها بالجهل والفوضى والتعصب القبلي ، وكانت العادات والتقاليد الهندوسية تسودها من كل جانب ، وعمها انعدام الأخلاق والسلوك الإسلامي والتعاليم الإلهية ، وكانت القلوب والعقول خاليةً من تصور . . . الإله الحق ، بينما كانت معابد الأصنام عامرةً .

ومع أن رسالة الإسلام كانت قد وصلت إلى البلاد منذ ما يقرب من نصف قرن ، إلا أن تلك النُّفوس الطاهرة التي حملت نداء الحق في أعماقها كانت قليلةً جداً . وأخيراً ، تجلت رحمة اللّه تعالى على أهل وادي كشمير ، فخرج رجل من مدينة همدان الإيرانية في رحلة طويلة ، شقَّ خلالها طريقه عبرَ الصحاري الشاسعة ، والأنهار المتعرّجة ، والجبال الشاهقة الوعرة ، ومع بزوغ فجر يوم جديد على أفق البلاد وصل هذا المسافر إليها برفقة جماعة كبيرة من العلماء والصالحين تضم حوالي سبع مائة من السادة ، رافعاً صوت التوحيد . لم يكن الشيخ مجرد داعية مخلص ومنشئٍ للرجال فحسب ، بل كان مجاهداً عظيماً ، عارفاً باللّه ، واسعَ البصيرة ، زاهداً أواهاً ، عالي الهمة ، مؤمناً صادقاً ثابت العزيمة ، جبلاً من العزم والثبات .

كانت همدان ، وختلان ، وخاصة بلاد كشمير من أهم ميادين جهوده ، وبفضل جهوده المخلصة والنزيهة ، انتشر الإيمان واليقين في قلوب أهل البلاد انتشاراً ثابتاً ، حتى إنَّ مصايبَ الزمان رغم فظاعتها لم تستطع أن تُزَعْزِع إيمانَهم ويقينَهم ، ولقد حلّت بهم عبرَ التاريخ جبالٌ من المصايب والآلام في عصور مختلفة ، ولكن من المستحيل أن تُمحى من قلوبهم تلك الآثار التي سجَّلها الشيخ الهمداني .

---

* كشمير – الهند .

اسمه ونسبه :

هو السيد علي بن شهاب الدين ، ويُعرف بألقاب : شاه همدان ، والأمير الكبير ، وعلي الثاني . وُلد في الثاني عشر من رجب سنة ٧١٤هـ ، الموافق للثاني عشر من أكتوبر سنة ١٣١٤م في همدان .

حياته وخدماته :

كان الشيخ ينحدر من أسرة ثرية غنية ، لكنه لم يكن ميَّالاً إلى ملذَّات الدنيا وتَرَف الحياة المَلِكية . فمنذ طفولته كانت علامات الرشد والهداية والورع بادية على جبينه ، وكان يميل إلى طلب العلم بدلاً من اللهو واللعب وإضاعة الوقت في الشوارع والأزقة كأقرانه . فتلقَّى التعليم البدائي على يد خاله السيد " علاء الدولة " السمناني (٦٥٩ – ٧٣٦هـ) ، وتحت إشرافه أتمّ حفظ القرآن الكريم ، واستمرَّ في الأخذ عنه والاستفادة منه مدة تُقارِب اثني عشر عاماً ، متزوِّداً بالعلوم العقلية والنقلية .

وفي سنة ٧٢٥هـ وكَّله خاله إلى الشيخ تاج الدين أبو البركات علي الدوستي (المتوفى سنة ٧٣٣هـ) . وبعد أيام قليلة ، وبإشارة غيبيَّة ونصيحة من شيخه ، حضر خدمةَ الشيخ محمود المزدقاني (المتوفى سنة ٧٦٦هـ) ، وبذل جهوداً جبَّارة ورياضات شاقَّة ومجاهدات كبيرة ، حتى قطع منازلَ السير والسُّلوك . وفي سنة ٧٣١هـ ، حضر مرة أخرى خدمةَ الشيخ الدوستي ، واستمرَّ هنا أيضاً في تزكية النفس والرياضة والمجاهدة . بعد عامين (سنة ٧٣٣هـ) طلب منه الدوستي العودةَ إلى الشيخ المزدقاني ، لكنّه تريَّث قليلاً ، وخلال ذلك توفِّي الشيخ الدوستي ، فعاد إلى خدمة الشيخ المزدقاني ، فأمره الشيخ المزدقاني (في سنة ٧٣٣هـ الموافق لسنة ١٣٣٢م) بالترحال والسياحة ، فقبل الأمر وبدأ رحلاته ، وقضى جزءاً كبيراً من حياته في الترحال والاستفادة من مشايخ العالم ونفعِ خلقِ الله [١] .

خلال سفره إلى مختلف البلدان ، واجه صعوبات شديدة من أيدي العامّة والخاصة والحكّام ، ولهذا لم يستقرَّ في مكانٍ واحدٍ ؛ ذكر

---

[١] أنظر : أبو السجاد : جامع تذكره أولياء كاملين مع مختصر تاريخ كشمير : سرينكر : سلطانية بك ديبو : ٢٠١٢م ، ص : ١٩٤ – ٢٣٢ .

المؤرِّخون أنّ أحد أسباب سفره إلى كشمير هو تلك المصائب والآلام التي أجبرته على السفر . فقد ورد في ترجمته في الجزء الثاني من كتاب " نزهة الخواطر " للشيخ عبد الحي الحسني : " وقع اختلاف بينه وبين الأمير تيمور كوركان في معنى الحكمة ، فقدم كشمير " [1] .

رحلته إلى كشمير :

قام السيد بعدّة رحلات إلى بلاد كشمير ، نَقل صاحب " رسالة مستورات " أنَّه في سنة ٧٤٠هـ أو ٧٤١هـ في حالة من الكشف والحضور قال له النبي – صلى الله عليه وسلم – : " يا بُنَيَّ ! اذهب إلى كشمير ، وقم بنشر الدين الإسلامي في أهلها " [2] .

فما إن تلقّى السيد هذا الأمر حتى انطلق في رحلته الطويلة والشاقة إلى كشمير ، عابراً الصحاري الشاسعة والأنهار المتعرّجة والجبال الشاهقة ، ووصل إلى سرينغر في عهد السلطان شهاب الدين (٧٥٢ – ٧٧١هـ / الموافق ١٣٥٠ – ١٣٧٠م) .

قام السيد بثلاث رحلات تاريخية إلى الوادي ، غيّرت المشهد الدينيّ والثقافيّ في كشمير . كانت هذه الرحلات بالغة الأهميَّة للدعوة إلى الإسلام والإصلاح التعليميّ والنهضة الروحيّة ، فكانت رحلته الأولى في سنة ٧٧٤هـ الموافق لسنة ١٣٧٣/١٣٧٢م في عهد السلطان شهاب الدين ، أرسل اثنين من معتمديه ؛ تاج الدين والسيد حسين السمناني لاستكشاف الأحوال هناك ، وعندما أبلغاه بالأحوال قَدِم إلى كشمير برُفقة جماعة كبيرة من السادة والعلماء والصالحين ، وأقام عاماً واحداً ، وحينئذٍ على الرغم من وجود المسلمين هناك وأن الحاكم كان مسلماً إلا أنَّ تأثيرات البراهمة والبوذية كانت مسيطرة على الحضارة والثقافة ، كانت المعابد هي السائدة بدلاً من المساجد ، وكان عامة الناس مُكِبِّين على الخرافات الوَهَميَّة البَشِعة بسبب تأثيرات الهندوسية ، فاشتغل السيد وجماعته من السادة بإصلاح المجتمع ، وبذَلوا قُصارى جهودهم حتى انتصر الحقّ ،

---

[1] الحسني : عبد الحي : نزهة الخواطر (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام) ، لبنان : بيروت : دار ابن حزم للنشر والطباعة ، ط : ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، ج ٢ .

[2] جشتي : الشيخ عبد الرحمن : مرآة الاسرار ، دهلي : مكتبة جام نور ، ط : محرم الحرام ١٤١٨هـ ، ص ١٠٣٠ – ١٠٣٥ .

وعلت راية الإسلام ورفرفت .

أما رحلته الثانية فكانت في سنة ٧٨١هـ الموافق لسنة ١٣٧٩ – ١٣٨٠م ، وأقام فيها قرابة عامين ، وكان هذا في عهد السلطان قطب الدين ، ففي هذه الرحلة وسَّع نشاطاته الدعويَّة إلى المناطق النائية في كشمير ، وأصلح نظام الزاويا (الخانقاهات) ، وتعلّم اللغة الكشميرية المحلّية لتعزيز التواصل مع العامة .

أما الرحلة الثالثة والأخيرة فكانت في سنة ٧٨٥هـ الموافقة لسنة ١٣٨٣م ، وأقام فيها ستة أشهر . بعد مغادرته كشمير في هذه الرحلة ، توفي في " هزارة " في السادس من ذي الحجة سنة ٧٨٦هـ الموافق لسنة ١٣٨٤م .

قبل قدوم السيد الهمداني – برَّد الله مضجعَه – كانت بلاد كشمير رغم كونها مركزاً علمياً قديماً متعدد الأديان ، تُعاني من نظام اقتصادي واجتماعي مضطرب ، وكانت الحضارة والنظام يُعانيان من الفوضى والاضطراب . لكنَّ قدومَه وضع كشمير على طريق جديد دينياً وعلمياً وأدبياً وثقافياً وتعليمياً وسياسياً واقتصادياً ، وآثاره العميقة لا تزال قائمةً حتى اليوم .

تعاليم السيد الهمداني :

كانت تعاليم السيد الهمداني هي خلاصة حياته ، وكان هدف حياته هو معرفة الله وتوجيه عباده إلى طريق الهداية ، ولا تزال منطقة كشمير تشهد على رسالته حتى اليوم ، وصفه العلامة محمد إقبال في " جاويد نامه " بأنه الزعيم الروحي لمنطقة كشمير ، وأجرى معه حواراً روحياً ، أكّد فيه على تعليمه ونشره الأخلاقَ و القيمَ الإسلاميةَ والحضارةَ الإسلاميَّةَ في كشمير .

وإذا أردنا أن نلخّص تعاليمه في كلمات فيمكننا أن نقول : إن تعاليم السيد الشاه الهمداني تبرز الأمور التالية بوضوح :

(١) الدعوة إلى العمل بالتوحيد والسنة .

(٢) الجمع بين العلم والعمل .

(٣) رفع صوت الحق في وجه الظلم .

أخبار علمية وثقافية

قسم الدعوة والإرشاد لندوة العلماء يعقد مخيماً تربوياً ودعوياً في رحاب ندوة العلماء

الأخ محمد طيب *

أقام قسم الدعوة والإرشاد لندوة العلماء مخيماً تربوياً ودعوياً للمدارس الملحقة بندوة العلماء ليومين في قاعة العلامة المحدث حيدر حسن التونكي في رحاب ندوة العلماء ، وذلك في ٩ – ١٠/ جمادى الأولى ١٤٤٧هـ المصادف ٢١ – ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٦م ، وقال الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي (رئيس ندوة العلماء) في كلمته الرئاسية في الجلسة الافتتاحية : من خصايص ندوة العلماء ومزاياها نشر الوسطية والاعتدال ، وقد جعل الله الأمة الاسلامية خير أمة ، نظراً إلى وسطيتها واعتدالها ، كلما اختار الناس الوسطية نجحوا في مراميهم وغاياتهم ، فالحاجة الى أن يتحلى خريجو ندوة العلماء بهذا الشعار البارز ، ويذكروها أمام الأجيال ، حتى تنشأ في أعمالهم ونشاطاتهم هذه الميزة .

وقال رئيس ندوة العلماء وهو يخاطب المندوبين في الجلسة النهايية :

" إن الفكر الوسط لندوة العلماء يهتم اهتماماً بالغاً بقيادة الأمة في العصر الراهن ، ومن مسؤوليات أهل المدارس أن يتناولوا برفع مستوى التعليم والتربية لا تكثير العدد للطلاب فحسب ، وأن ينشئوا فيهم صلابة العلم ، وبصيرة الفكر ، وقوة العمل ، والغاية الأساسية للمدارس الإسلامية إعداد جيل يمثل الدين الصحيح ويرشد الأمة إلى الصراط المستقيم ، فلابد من تربية المعلمين وارتباطهم بالتراث العلمي للعلماء الكبار ، والتزامهم بالوسطية في الاختلافات ، ومواجهة التحديات للعصر الحاضر بالحكمة والموعظةالحسنة " .

وشارك في هذا المخيم مائتان وخمسون من العلماء والمسؤولين عن المدارس الملحقة بدار العلوم لندوة العلماء من جميع ولايات الهند ، وخلال ذلك عقدت ثلاث جلسات مهمة حول عنوان " التعليم والتربية والدعوة " ، وقدم فيها المندوبون آراءهم ومقترحاتهم وتجاربهم .

وكان مدير الجلسة الافتتاحية الأستاذ كمال أختر الندوي (أستاذ التفسير بدار العلوم ومساعد مدير دار العلوم) إنه قال في كلمته : " إن ندوة العلماء لا تزال تسعى سعياً مضنياً لازدهار موسع في مختلف الشعب مثل التعليم والتدريس والصحافة ، وتربية الطلاب والنشاطات الأدبية ، ويهتم بالغ الاهتمام في دار العلوم لرفع المستوى التعليمي وتربية الطلبة علمياً وخلقياً ، وتنمية اللغة

* الطالب في قسم التكميل (الشريعة) بدار العلوم لندوة العلماء .

.....

العربية والإنجليزية ، وتعليم اللغة الهندية .

وانعقدت الحفلة الأولى لهذه الجلسة يوم الأربعاء حول عنوان " التعليم ومناهجه " في رئاسة الشيخ السيد عمار عبد العلي الحسني الندوي (الأمين العام لندوة العلماء) ، وقال : الطلبة الأعزة أمانة من الله ، فعلى كل معلم ومدرس أن يدرِّس باستعداده الكامل ، والإخلاص ومع الشعور بمسؤوليته ، وأكد الأستاذ محمد علاء الدين الندوي (عميد كلية اللغة وآدابها بدار العلوم) تأكيداً على ترتيب المنهج التعليمي في ضوء القرآن والسنة حسب مقتضيات العصر الحاضر ، وكان مدير هذه الجلسة الأستاذ محمد سلمان نسيم الندوي (أستاذ دار العلوم لندوة العلماء) وقدم المندوبون آراءهم عن المقرر التعليمي والنظام التعليمي .

وانعقدت الجلسة الثانية لهذه الجلسة عشية يوم الأربعاء بعد صلاة المغرب حول عنوان " التربية " ، وكان رئيس هذه الحفلة الأستاذ المفتي نياز أحمد الندوي (نائب مدير دار العلوم) ، وكان مدير هذه الحفلة الأستاذ محمد خالد الباندوي الندوي (أستاذ دار العلوم) ، وقدم فيها المسؤولون عن المدارس الملحقة مقترحاتهم عن المسائل التربوية والإصلاحية ، وخطب الأستاذ عبد السبحان ناخدا الندوي (أستاذ التفسير بدار العلوم) .

وانعقدت الجلسة الثالثة صباح يوم الخميس حول عنوان " الدعوة " في رئاسة الأستاذ عبد العزيز الندوي (مدير دار العلوم) فألقى كلمة على أهمية الحكمة والاعتدال والرفق في مجال الدعوة والتبليغ حسب نفسية المخاطب وكيفية الأوضاع ، وكان مدير هذه الجلسة الأستاذ أبرار أحمد الندوي (أستاذ التفسير والحديث بدار العلوم) وألقى فيها الأستاذ محمد خالد الغازي فوري الندوي (عميد كلية الدعوة والإعلام بدار العلوم لندوة العلماء) كلمة قيمة .

وانعقدت الحفلة الأخيرة لهذه الجلسة يوم الخميس في رئاسة الشيخ محمد زكريا السنبهلي الندوي (عميد كلية الشريعة وأصول الدين) ونصح الأساتذة أن يُربّوا الطلاب دينياً وخلقياً وعلمياً ، وأن ينشئوا فيهم ذوق المطالعة ، ويمنعوهم من استخدام الجوال الضار ، وكان مدير هذه الجلسة الأستاذ اصطفاء الحسن الكاندهلوي الندوي (أستاذ التفسير بدار العلوم لندوة العلماء) .

وقدم الأستاذ محمد نفيس خان الندوي (أستاذ دار العلوم) توصيات وقرارات لهذا المخيم ، وبدئ المخيم بتلاوة القرآن الكريم المقرئ بدر الدجى الفرقاني (أستاذ قسم الحفظ بدار العلوم) والأخ عبد الله ماجد ، كما قدم الأخ محمد كيف وأصحابه أنشودة ندوة العلماء ، وأنشد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم الإخوة عزيز الرحمن ، وحذيفه رحمت ، ومحمد صفوان ، ومحمد غلاب من طلاب دار العلوم لندوة العلماء ، وانتهى المخيم بدعاء رئيس ندوة العلماء .

الندوة الفقهية الثامنة لمجمع البحوث والدراسات الشرعية في ندوة العلماء

الأخ محمد أبو الحسن *

عقد مجمع البحوث والدراسات الشرعية لندوة العلماء ندوته الفقهية العلمية الثامنة في قاعة الشيخ المحدث حيدر حسن خان التونكى في رحاب ندوة العلماء لكناؤ ، وذلك يوم الأربعاء والخميس ١٦ – ١٧ من جمادى الأولى ١٤٤٨هـ ، المصادف ٢٨ – ٢٩ من أكتوبر ٢٠٢٦ من الميلاد . وشارك فيها ثلة من العلماء البارزين وأصحاب الفتوى والباحثين البارعين في مجال الفقه واستنباط القضايا الدقيقة وتخريج المسائل حسب المقتضيات العصرية من شتى أنحاء البلاد . ودارت فيما بينهم مناقشات فقهية وعلمية تناولت العناوين الثلاثة ، وهي كما يلي :

(١) حكم استخدام الأشياء المصنوعة بالعظام .

(٢) أهم القضايا عن بيع الأراضي وشرائها .

(٣) الحكم الشرعي للكسب من المنصات الرقمية والتسويق بالعمولة .

وهذه الندوة كانت لها عدة جلسات ، الجلسة الأولى والافتتاحية التي عقدت يوم الأربعاء صباحاً تحت رئاسة الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي (رئيس ندوة العلماء) ، وبدأت هذه الجلسة بتلاوة الأستاذ محمد علي شفيق الندوي (أستاذ دار العلوم لندوة العلماء) ثم أنشدت أنشودة ندوة العلماء ، وقد رحَّب بالضيوف الأمين العام لندوة العلماء الشيخ السيد عمار الحسني الندوي ، وقال الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء في كلمته الرئاسية : ليس إخواننا المواطنون فحسب بل العالم كله يخاف الإسلام ، والسبب الأساسي وراء هذا الخوف أنهم غير مطلعين على الإسلام وتعاليمه الصحيحة ، وتعود هذه المسؤولية على أكتافنا أن نعرف بالإسلام تعريفاً واضحاً حتى لا يبقى أي شك و شبهة عنه ، وأكد أن الحاجة ماسة إلى التصلب في العقائد الأساسية والأصول الدينية ، وإلى التوسع في الفروع الدينية . وفي العصر الحاضر تنشأ القضايا الجديدة ، والمسائل المختلفة فيجب على أصحاب الفتوى أن يقدموا حلولها في ضوء الشريعة الإسلامية .

وقال الشيخ خالد سيف الله الرحماني (رئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية لعموم المسلمين في الهند) : إن هناك نوعين من الأحكام : نوع منصوص ، ونوع غير منصوص ، فالحاجة إلى الاجتهاد والتدبر في المسائل غير

* الطالب في السنة الأولى من الدراسات العليا من الأدب .

المنصوصة ، وأضاف قائلاً : الإسلامفوبيا يوجد كثيراً في الهند وإسرائيل ، فلا بد من أن نشعر بالأوضاع الراهنة ونقدم حلولها في ضوء القرآن والحديث . وقال مؤكداً : إن هناك قوانين معارضة تشرع وتسن ضد الإسلام اليوم ، وهي مثيرة للقلق البالغ ، وتسعى هيئة قانون الأحوال الشخصية لعموم المسلمين في الهند سعياً حثيثاً ضدها ، فعلى العلماء والفقهاء إيقاظ الشعور الديني والإسلامي في نفوس المسلمين لكي يأخذوا القوانين الإسلامية بقوة : وإن الشيخ السيد أبا الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله كان أول من فكر في الهند في الاجتهاد الاجتماعي وحل القضايا العويصة والنوازل الدقيقة في ضوء الشريعة الاسلامية .

وقد عقدت ثلاث جلسات لمناقشة هذه القضايا الفقهية ، وجرت مباحثات علمية ، ومداولات فقهية في جلسات مختلفة ، حتى توصل الفقهاء إلى توصيات وقرارات سديدة ، قرأها في الجلسة الختامية الأستاذ الدكتور فهيم أختر الندوي ، كما قدم الشيخ المفتي عتيق أحمد البستوي خطبة مفتاحية ، تحدث فيها عن تاريخ الاجتهاد الجماعي عبر التاريخ ، وتناول تاريخ مجمع البحوث والدراسات الشرعية بلكناؤ ، وكما قدم الأستاذ منور سلطان الندوي أمين مكتب المجمع تعريفاً موجزاً بالنشاطات العلمية والتربوية التي يقوم بها مجمع البحوث والدراسات الفقهية لندوة العلماء خلال العام الجاري ، وقد تم تدشين خمسة مؤلفات حديثة لمجمع البحوث في هذه الندوة .

وقد رأس الجلسات كل من الشيخ محمد زكريا السنبهلي الندوي ، والشيخ المفتي خالد سيف الله الرحماني ، والشيخ عبيد الله الأسعدي ، والشيخ محمد سفيان القاسمي رئيس دار العلوم وقف ديوبند . قال الشيخ سفيان القاسمي في كلمته الرئاسية ، وقال : إننا نعيش في زمن تظهر فيه تحديات جديدة ومشاكل خطيرة بسرعة ، ولكننا على يقين أن علماءنا وفقهاءنا الشباب يحلونها بسرعة وحكمة وعلم وبأفضل ما لديهم في ضوء الشريعة ، وأخيراً ألقى السيد محمد عمار عبد العلي الحسني الندوي كلمة ختامية ، وكما قدم الشيخ عبدالعزيز الندوي البهتكلي (مدير دار العلوم لندوة العلماء) انطباعاته عن الندوة ، وكان مدراء هذه الجلسات الأستاذ ظفر عالم الندوي ، والأستاذ الدكتور نصر الله الندوي ، والأستاذ منور سلطان الندوي ، والأستاذ عبدالرحيم الندوي ، وانتهت الجلسة بدعاء الشيخ خالد سيف الله الرحماني . وقدم كلمة الشكر والتقدير الأستاذ كمال أختر الندوي المستشار للأمين العام لندوة العلماء ، ومن أبرز المشاركين في الندوة الشيخ رحمة الله الكشميري ، والدكتور رضي الإسلام الندوي ، والأستاذ بدر أحمد المجيبي الندوي ، والمفتي ثناء الهدى القاسمي والأستاذ أختر إمام عادل وغيرهم .

(١) الشيخ المفتي ثمين أشرف القاسمي إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ المفتي ثمين أشرف القاسمي في ١٤٤٨/٤/٢٠هـ ، المصادف ٢٠٢٦/٩/٣٠م ، بالغاً من العمر ٦٧/ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ ثمين أشرف من مواليد ١٩٥٩م ، في قرية مادهوفور ، بمديرية سيتامرهي ، بولاية أترابراديش ، وكان والده الشيخ محمد إبراهيم النقشبندي من المشايخ الربانيين ، درس الشيخ ثمين أشرف الابتدائية في وطنه ، ثم واصل دراسته في مدرسة عصرية تبعد من منزله بست كيلومترات ، وأكمل هنا الثانوية ، ثم ذهب إلى الجامعة العربية بقرية هتورا ، بمديرية باندە ، لصاحبها الشيخ المقرئ صديق أحمد الباندوي رحمه الله تعالى ، والتحق بالعربية والفارسية ، ودرس هنا على أساتذة بارعين أمثال الشيخ محمد زكريا السنبهلي الندوي والشيخ نفيس أكبر ، والشيخ الرباني المقرئ صديق أحمد الباندوي وغيرهم ، وكان ذلك خلال ١٩٧٠ – ١٩٧١م ، ثم سافر إلى الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند ، ونال شهادة الفضيلة والإفتاء منها ، وكانت صلته بالشيخ معراج أحمد والشيخ أنظر شاه الكشميري والشيخ وحيد الزمان الكيرانوي قوية ، كما درس في دار العلوم ديوبند على المفتي محمود الحسن الغنغوهي والشيخ قمر الدين الغورخفوري ، والمفتي شكيل أحمد وغيرهم .

وبعد ما أكمل الشيخ ثمين أشرف الدراسة في دار العلوم ديوبند أرسله أستاذه الشيخ المفتي محمود الحسن الغنغوهي إلى فتح فور ، هنسوه ، بولاية أترابراديش (الهند) ، وعيّنه إماماً وقاضياً هناك ، فقد أنشئت هنا مدرسة أشرف العلوم برعاية كريمة من الشيخ ثمين أشرف القاسمي ، وظل رئيس هيئة الأساتذة في هذه المدرسة ، حتى انتقل إلى سلطنة عمان عام ١٩٨٠م ، وظل رقيب الجيش فيها ، لكن لم ينقطع عن المطالعة والدراسة ، وقد بدأ إلقاء دروس القرآن والحديث في الجيش ، وكانت إقامته في الجيش إلى عام ١٩٩٤م ، ثم عاد إلى وطنه ، ومكث فيه سنوات ، ثم دُعي إلى سلطنة عمان كإمام وخطيب لجامع كبير ، ومن ثم بدأت سلسلة تأليفاته ، فأول مؤلف له : حق جل مجده كي باتين (كلمات الله تعالى) ، ثم وفقه الله تعالى لترجمة كتاب الأحاديث السنية في الأحاديث القدسية باللغة الأردية في مجلدات ضخام ، وآخر ما كتب هو إمام الحمد سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى القراء قائمة مؤلفاته : علامات القيامة ، وعلامات الإيمان ، وعلامات السعادة ، وتجليات قدسية ، ونفحات قدسية ، ومعارف قدسية ، وعقيدة ختم النبوة ، والإمام مهدي في ضوء الأحاديث ، ودراسة أحاديث عقيدة ختم النبوة ، وحياة النبي البرزخية ، والشوق إلى رؤية الباري تعالى ، لماذا تنزل المصائب على

المسلمين ، وحكمة قراءة التعوذ قبل تلاوة القرآن الكريم وغيرها من الكتب .

كان الشيخ ثمين أشرف القاسمي في سلطنة عمان إلى عام ٢٠٠١م ، ثم انتقل إلى دبي ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، وعين إماما وخطيبا في مسجد الحبتور الخيرية لصديقه سلطان بن خليفة الحبتور ، وبقي على هذا العمل إلى يوم وفاته ، وقد زرناه في سفرنا إلى دبي ، فوجدناه في أحسنٍ حال ، واطلعنا على نشاطاته العلمية ، ولم يكن يُرجى أنه سيفارقنا عاجلاً ، وكان في هذا اللقاء معنا الأستاذ محمد عرفان الندوي ، والأستاذ جميل العباسي الندوي والأخ عبد الله المخدومي الندوي ، فرحب بنا في شقته بدبي خير ترحيب وتجاذبنا أطراف الحديث معه إلى ساعة ، ثم رجعنا إلى مقرنا .

كانت صلة الشيخ ثمين أشرف بالعلماء الربانيين ، فكان يزورهم حيناً لآخر ، وكان في هؤلاء الربانيين الشيخ المفتي محمود الحسن الغنغوهي ، والشيخ أسعد الله الرامفوري ، والشيخ الطيب محمد أختر ، والشيخ ذوالفقارالنقشبندي ، والشيخ قمر الزمان الإله آبادي وغيرهم .

ترك وراءه أسرة حافلة بالأولاد والأحفاد والأهل ، نخص بالذكر منهم الأستاذ محمد نفيس أشرف والأستاذ نقيب أشرف الندوي ، والأستاذ محمد صهيب ، ونحن إذ نعزي أسرة الشيخ ثمين أشرف ندعو الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ، ويغفر له زلاته ويسكنه فسيح جناته ، وقد فاضت روحه في علي جراه ، وحُمل جثمانه إلى وطنه في سيتامرهي بولاية بهار (الهند) .

رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم الجميع الصبر والسلوان .

(٢) الأستاذ ضياء الرحمن إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ ضياء الرحمن القاسمي في ١٤٤٨/٥/٢١هـ المصادف ، ٢٠/ نوفمبر ٢٠٢٦م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ ضياء الرحمن بقرية بشنافور من مديرية غونده أترابراديش ، تعلم أولاً في مدرسة نور العلوم ببهرائش ، ثم واصل دراسته في دار العلوم ديوبند ، كما تخصص في اللغة العربية والأدب العربي في دار العلوم لندوة العلماء ، وقد لازم العالم الرباني الشيخ محمد منظور النعماني عشر سنوات في آخر حياته كخادم ومساعد خاص له .

كان والد الراحل الكريم الشيخ محمود أحمد ، وجده المقرئ مسعود أحمد ، وكانت صلتهما بالعلماء الربانيين قوية ، إنهما أسسا المدرسة الفاروقية في مديرية شراوستي ، كما أسس الأستاذ ضياء الرحمن القاسمي الجامعة المحمودية بشنافور ، وقد زار أستاذنا سعيد الأعظمي الندوي رحمه الله هذه المنطقة ، فأرسى حجر أساس هذه الجامعة ، وقد تطورت الجامعة وازدهرت .

صلى عليه أخوه الأستاذ نور الرحمن القاسمي وتم دفنه في مقبرة قريته .

رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته .

عدد ممتاز لمجلة البعث الإسلامي

عن الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي

رحمه الله تعالى

فوجئت أسرة مجلة البعث الإسلامي وندوة العلماء بأسرها بوفاة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي ومدير دار العلوم لندوة العلماء) ، وهي حادث أليم لجميع الأوساط العلمية والأدبية والدينية في الهند وخارجها ، ولا سيما لمجلة البعث الإسلامي ، فقد كان رحمه الله مشاركاً في إنشائها ثم اختير رئيساً لتحريرها بعد وفاة الشيخ السيد محمد الحسني رحمه الله . وظلت مدة رئاسة تحريره أكثر من خمسة وأربعين عاماً .

وإن حياة أستاذنا رحمه الله حافلة بكثير من الإنجازات والأعمال، وهي مسجلة في ذاكرة التاريخ ، فالحاجة إلى إبراز نواح متنوعة لجهوده وآثاره ، فقد قررت أسرة المجلة إصدار عدد ممتاز لها حول الشيخ سعيد الأعظمي الندوي رحمه الله ، يزدان بإذن الله هذا العدد بـ :

(١) جوانب مشرقة من حياته (٢) آثاره العلمية والأدبية

(٣) إبداعاته في الأدب الإسلامي (٤) بحوث ودراسات حول أعماله

وغيرها من كلمات التعزية وشعر الرثاء وأخبار التأبين .

الرجاء إرسال البحوث والمقالات على عجل إلى مكتب المجلة أو على هذا العنوان الإلكتروني

Email: albaas1955@gmail.com

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2024 To 2026
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

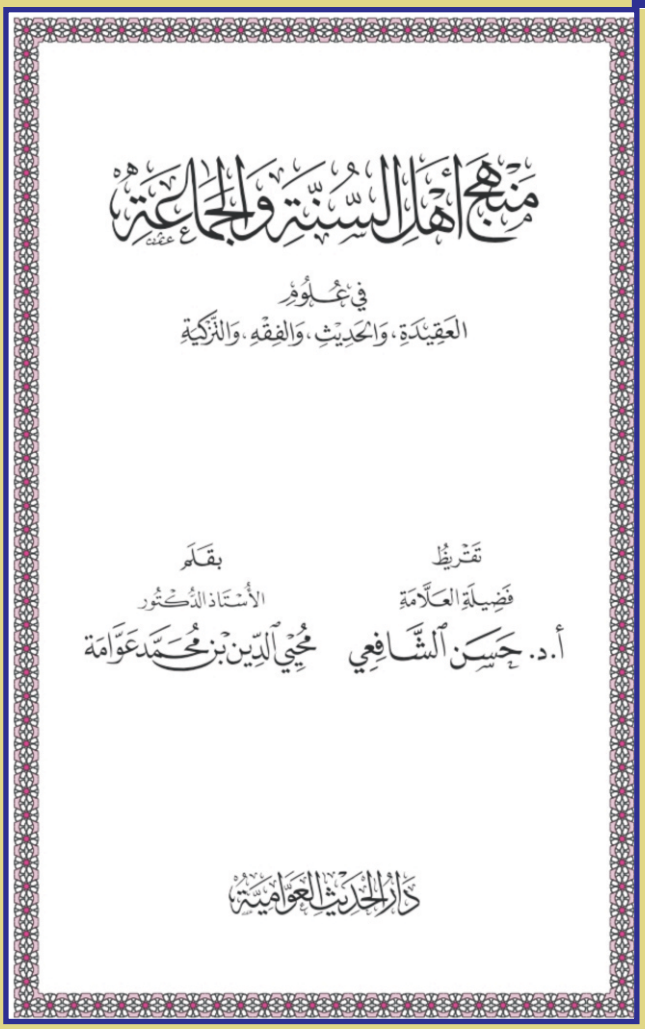
Monthly

Dispatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 800/-

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 73 Issue. No. 02, December 2026

إصدارات حديثة



Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at The New Standard Book Printing and 3Binding Press, Basmandi, Lucknow. U.P.
Editor: Mohd Farman - Al- Nadwi